



المؤتمر العلمي الدولي الثاني

لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

والمعنون بـ:



البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية

بين مشكلات الواقع وآفاق التطوير

والمنعقد في يومي ٢٨، ٢٩/أبريل/٢٠٢٥م

مقرر المؤتمر

أ.د. أنور محمود المرسي خطاب

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

رئيس المؤتمر

أ.د. سعيد أحمد جمعة

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

منسق المؤتمر

أ.د. صبري فوزي أبو حسين

أستاذ الأدب والنقد ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

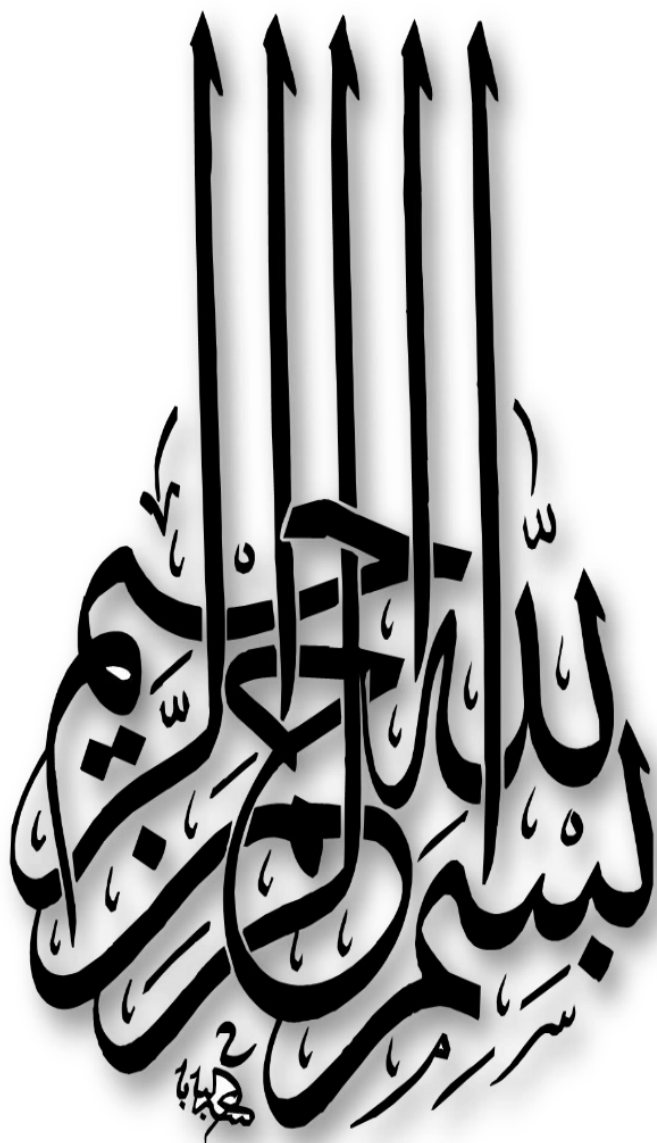
أمين المؤتمر

أ.د. سحر محمد محمد عزت

أستاذ الحديث ووكيل الكلية للدراسات العليا سابقًا

الجزء الثالث

وثائق وشهادات وتوصيات



ملخص البحث

الجزء الثالث من كتاب

المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بمدينة السادات

وثائق وشهادات وجلسة تأبين العلامة محمود توفيق سعد

إعداد وإشراف أ.د/ صبري فوزي أبو حسين

الإيميل: Sabrymhamed@azhar.edu.eg

يتناول هذا الجزء الثالث من كتاب المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات مجموعة شهادات ووثائق تخص مشكلات البحث العلمي لكبار العلماء، كما يشمل كلمات وقصائد في تأبين العلامة محمود توفيق سعد، ضيف شرف المؤتمر، وعضو هيئة كبار العلماء. وقد ختم بأبرز توصيات المؤتمر.

الكلمات المفتاحية: [شهادات/البحث العلمي/ الدراسات العليا/ تأبين/

محمود توفيق سعد-توصيات]

Research Abstract

The third part of The Proceedings of the Second International Scientific Conference of the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sadat City presents a collection of documents and testimonies addressing various issues and challenges in scientific research as discussed by prominent scholars participating in the conference. This part also includes the memorial session for the late scholar Mahmoud Tawfiq Saad, a member of the Council of Senior Scholars and the conference's guest of honor, featuring scholars' tributes and poetic elegies that express deep appreciation for his intellectual and academic contributions.

This section highlights the distinguished position of Dr. Mahmoud Tawfiq Saad and his role in supporting scientific research, while also reflecting the key insights and recommendations aimed at advancing postgraduate studies and academic research in the fields of Islamic and Arabic studies. It concluded with the most prominent recommendations of the conference.

:Keywords

Documents – Testimonies – Scientific Research –
Postgraduate Studies – Memorial – Mahmoud Tawfiq
Saad -Recommendations

القسم الأول: الوثائق

ويضم الوثائق الآتية :

الوثيقة الأولى : وثيقة الأزهر في التجديد في الفكر والعلوم.

الوثيقة الثانية : كَيْفَ نَسْتَخْرِجُ مَوْضُوعَاتٍ لِبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ؟

الوثيقة الثالثة : في أصول البحث العلمي.

الوثيقة الرابعة : ملاحظات في تحقيق التراث العربي.

الوثيقة الخامسة : أَيْنَ الْخَلَلُ؟

الوثيقة السادسة : فريضة علاقة الباحث البلاغي بأسفار البلاغيين والمفسرين.

الوثيقة السابعة : أركان فريضة البحث العلمي البلاغي في بيان الوحي في البحوث الجامعية لنيل درجة علمية.

الوثيقة الثامنة : في شأن تطوير برنامج الدراسات العليا في جامعة الأزهر.

الوثيقة التاسعة : أوضاع الدراسات العليا في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر.

الوثيقة العاشرة : العلوم الإنسانية في عصر العولمة.

الوثيقة الحادية عشرة : نظام الساعات المعتمدة في الدراسات العليا في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر.

الوثيقة الأولى

وثيقة الأزهر في التجديد في الفكر والعلوم^(١)

يعلن علماء الأمة من رحاب الأزهر للعالم كله ما يلي:

[١] **التجديد لازم من لوازم الشريعة الإسلامية**، لا ينفك عنها؛ لمواكبة مستجدات العصور وتحقيق مصالح الناس.

[٢] **النصوص القطعية في ثبوتها ودالاتها لا تجدد فيها بحال من الأحوال**، أمّا النصوص الظنيّة الدّلالة فهي محل الاجتهاد، تتغير الفتوى فيها بتغير الزمان والمكان وأعراف الناس، شريطة أن يجيء التجديد فيها على ضوء مقاصد الشريعة وقواعدها العامة، ومصالح الناس.

[٣] **التجديد صناعة دقيقة**، لا يحسنها إلّا الراسخون في العلم، وعلى غير المؤهلين تجنب الخوض فيه حتى لا يتحوّل التجديد إلى تبديد.

(١) مرصد الأزهر - Al Azhar Observer Toggle navigation

وثائق الأزهر "وثيقة الأزهر للتجديد في الفكر و العلوم الإسلامية". دعا الأزهر الشريف أبرز علماء المسلمين في العالم إلى عقد مؤتمر عالمي للتباحث تحت عنوان «التجديد في الفكر الإسلامي» في الفترة من ٢-٣ جمادى الآخرة ١٤٤١هـ الموافق ٢٧-٢٨ يناير ٢٠٢٠م. وذلك بمركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر.

[٤] التيارات المتطرفة، وجماعات العنف الإرهابية يشتركون جميعاً في

رفض التجديد، ودعوتهم تقوم على تدليس المفاهيم وتزييف المصطلحات الشرعية، مثل مفهومهم عن نظام الحكم، والحاكمية، والهجرة، والجهاد، والقتال، والموقف من مخالفهم، فضلاً عن انتهاكهم ثوابت الدين بما يرتكبونه من جرائم الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، وهو ما شوه صورة الإسلام وشريعته عند الغربيين ومن على شاكلتهم من الشرقيين، وتسبب في ربط الكثيرين بين أفعالهم المنحرفة وبين أحكام الشريعة، و رواج ما يسمى بـ«الإسلام فوبيا» في الغرب، ومن ثم فإن واجب المؤسسات والمجتمع دعم جهود الدول في التخلص من شرور هذه الجماعات.

[٥] من أسس الخلل الفكري عند هذه الجماعات التسوية بين الأحكام

العقدية وبين الأحكام العملية؛ كاعتبار فعل المعاصي كُفراً، واعتبار بعض المباحثات فريضة واجبة، وهو ما أوقع الناس في حرج شديد وأساء إلى الإسلام وشريعته إساءة بالغة.

[٦] المراد بالحاكمية عند الجماعات المتطرفة أن الحكم لا يكون إلا لله،

وأن من يحكم من البشر فقد نازع الله سبحانه وتعالى في أخصّ خصائص ألوهيته، ومن نازع الله فهو كافر حلال الدم، لأنه ينازع الله في أخصّ صفاته، وهذا تحريفٌ صريحٌ لنصوص الشريعة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ التي بيّنت في وضوح إسناد الحكم إلى البشر، والاعتداد بما يصدر عن أهل الحل والعقد من الأحكام الاجتهادية التي مردّها إلى الله، ونتذكر هنا قول ابن حزم «إن من حُكم الله أن جعل الحكم لغير الله»، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾،

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يُحْكَمْ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾. وعلى هذا يجب تصحيح ثقافة الناس حول مفهوم الحاكمية من خلال نشر عقيدة أهل السنة، وبيان أن الحكم البشري المنضبط بقواعد الشرع لا يتعارض مع حاكمية الله، بل هو منها.

[٧] التكفيرُ فتنةٌ ابتليت بها المجتمعات قديماً وحديثاً، ولا يقول به إلا متجرب على شرع الله تعالى أو جاهل بتعاليمه، ولقد بينت نصوص الشرع أن رمي الغير بالكفر قد يرتد على قائله فيبوء بإثمه، والتكفير حكم على الضمائر يختص به الله سبحانه وتعالى دون غيره، فإذا قال الشخص عبارةً تحتمل الكفر من تسع وتسعين وجهاً وتحتمل عدم التكفير من وجه واحد فلا يرمى بالكفر لشبهة الاحتمال؛ اعتداداً بقاعدة «ما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين».

[٨] ما ينادون به من وجوب هجرة الأوطان لا أصل له، والأصل عكسه، لقول النبي ﷺ (لا هجرة بعد الفتح)، ومن هنا فإن دعوة الجماعات الإرهابية للشباب لترك أوطانهم والهجرة إلى الصحاري والقفار، وللحقوق بالجماعات المسلحة فراراً من مجتمعاتهم التي يصمونها بالكفر هذه الدعوة مبعثها الضلال في الدين والجهل بمقاصد شريعة المسلمين، والحكم الشرعي الذي يعلنه علماء الإسلام من الأزهر الشريف: هو أن من حق المسلم أن يقيم في أي موضع من بلاد المسلمين أو غيرها متى كان آمناً على نفسه وماله وعرضه، ومتمكناً من أداء شعائره دينه، أما المدلول الشرعي الصحيح للهجرة في عصرنا هذا فهو ترك المعاصي والهجرة لطلب الرزق والتعلم، والسعي في عمارة الأرض، والنهوض بالأوطان.

[٩] الإلحاد خطري عمل على ضرب الاستقرار في المجتمعات التي تقدر

الأديان، وتحترم تعاليمها، وهو أحد أسلحة الغزو الفكري، التي يُراد من

خلالها -بدعوى «الحرية الدينية»- هدم الأديان، وإضعاف النسيج المجتمعي، وهو سبب مباشر من أسباب التطرف والإرهاب، وعلى المجتمعات أن تنبذ الآثار السلبية التي تترتب على دعوات الإلحاد، وإنكار وجود الله، وبلبل أفكار المؤمنين به، كما يجب على العلماء التسلح بمنهج تجديدي في التعامل مع مخاطره تستصحب الأدلة العقلية والبراهين الكونية ونتائج العلوم التجريبية الحديثة باعتبارها تؤيد الحقائق الإيمانية، وذلك من خلال الالتقاء بالشباب والحوار معهم، والإفادة من وسائل التواصل الحديثة في هذا المقام.

[١٠] الجهاد في الإسلام - ليس مرادفًا للقتال، وإنما القتال الذي

مارسه ﷺ وأصحابه هونوع من أنواعه، وهو لدفع عدوان المعتدين على المسلمين، وليس لقتل المخالفين في الدين، كما يزعم المتطرفون، والحكم الشرعي الثابت في الإسلام هو حرمة التعرض للمخالفين في الدين، وحرمة قتالهم ما لم يُقاتلوا المسلمين.

[١١] المنوط بأمر الجهاد هو السلطة المختصة في البلاد وفق الدستور

والقانون، وليس الجماعات والأفراد، وكل جماعة تدعي لنفسها هذا الحق، وتُجيشُ الشباب، وتدربه، وتدفع به للقتل والقتال، وقطع الرؤوس، هي جماعة مفسدة في الأرض محاربة لله ورسوله، وعلى السلطات المختصة أن تتصدى للقضاء عليهم بكل عزيمة وحزم.

[١٢] الدولة في الإسلام هي: الدولة الوطنية الديمقراطية الدستورية

الحديثة. والأزهر - ممثلاً في علماء المسلمين اليوم- يقرّر أن الإسلام لا يعرف ما يسمى بالدولة الدينية، حيث لا دليل عليها في تراثنا، وهو ما يفهم صراحةً من بنود صحيفة المدينة المنورة، ومن المنقول من سياسة رسولنا

الأكرم، ومن جاء من بعده من الخلفاء الراشدين، وكما يرفض علماء الإسلام مفهوم الدولة الدينية فإنهم يرفضون - بالقدرِ نفسه - الدولة التي يقوم نظامها على جد الأديان وعزلها عن توجيهات الناس.

[١٣] الخلافة نظام حكم ارتضاه صحابة رسول الله ﷺ ناسب زمانهم،

وصلح عليه أمر الدين والدنيا، ولا يوجد في نصوص الكتاب والسنة ما يلزم بنظام حكم معين، بل كل نظام من أنظمة الحكم المعاصرة تقبله الشريعة مادام يوفّر العدل والمساواة والحرية، وحماية الوطن، وحقوق المواطنين على اختلاف عقائدهم ومِلَلهم، ولم يتصادم مع ثابت من ثوابت الدين.

[١٤] الحاكم في الإسلام: هو من ارتضاه الناس حاكماً بالطريقة التي

يحددها دستور الدولة، أو ما تقتضيه أنظمتها المعمول بها، ومن واجباته العمل على مصلحة رعيته، وتحقيق العدل بينهم، وحفظ حدود الدولة، وأمنها الداخلي، والاستغلال الأمثل لمواردها وثرواتها، ويُلبّي احتياجات المواطنين في الحدود المتاحة.

[١٥] المواطنة الكاملة: حق أصيل لجميع مواطني الدولة الواحدة، فلا

فرقَ بينهم على أساس الدين أو المذهب أو العرق أو اللون، وهو الأساس الذي قامت عليه أول دولة إسلامية، وتضمنته صحيفة المدينة المنورة، وعلى المسلمين أن يعملوا على إحياء هذا المبدأ.

[١٦] من البر الذي دعانا إليه الإسلام تهنئة غير المسلمين بأعيادهم،

وما يدّعيه المتشددون من تحريم هو جمود وانغلاق، بل افتراء على مقاصد شريعة الإسلام، وهو من باب الفتنة التي هي أشد من القتل ومن باب

الأذى لغير المسلمين، وليس في التهنة أية مخالفة للعقيدة؛ كما يدعي المتشددون.

[١٧] يجب على المسؤولين منع المواد الإعلامية الحاملة لهذا الفكر،

والتي تنشط في مناسبات الأعياد المقدسة عند غير المسلمين، وذلك لما تحدثه من توتر وكرهية مكتومة بين أبناء المجتمع الواحد.

[١٨] الجرائم التي ترتكبها الجماعات الإرهابية والجماعات المسلحة

- لاسيما قتل المدنيين ورجال الجيش والشرطة ونحوهم ممن يقومون بمهام حماية المجتمع وحدود الوطن، والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة - هي جرائم إفساد في الأرض، تُوجب اتخاذ كافة التدابير الشرعية، والقانونية والأمنية والعسكرية، ويجب اتخاذ إجراءات عملية رادعة للجماعات الإرهابية والدول التي ترعاها وتدعمها، والتي تأوي هؤلاء الخارجين وتسلطهم على أوطانهم.

[١٩] المخدرات وسائر المسكرات - مهما كان اسمها ومقدارها قل أو

كثر -، وما يؤثر على العقل والسلوك حرام قطعاً، ويجب اتخاذ كافة التدابير التربوية والثقافية والدعوية والأمنية التي تمنع من تعاطيها وتداولها، كما يجب سنّ العقوبات الرادعة لجالبيها، ومروجيها، ودعم مراكز علاج الإدمان لزيادة قدرتها على علاج المدمنين ودمجهم في المجتمع، وعلى الجهات المختصة منع إظهار تجار المخدرات والمتعاطين لها في الأعمال الدرامية بمظهر يُغري الشباب بتقليدهم.

[٢٠] مقاومة الفساد والغش والمحسوبية، والتفرقة الجائرة بين

المتكافئين في الفرص مسؤولية دينية، وقانونية، ومجتمعية، وأخلاقية، يُحاسب عليها كل مسؤول في موقعه، ويجب على كافة المؤسسات دعم

دور الدولة في القضاء عليها لما لهذه الأمور من أثرٍ ضارٍ على التنمية واستقرار المجتمعات.

[٢١] الانتحار جريمة نكراء - طارئة على مجتمعاتنا - تزيد في

قبحها على جريمة قتل الإنسان لغيره، فالقاتل لغيره -وهو بمنزلة قاتل البشرية جميعاً- قد ينجو من العقاب بعفو الأولياء أو نيل العقوبة في الدنيا، أما المنتحر فإنه يموت بجريمته الشنعاء، ومن الواجب على العلماء والمفكرين والمعنيين بالتعليم والثقافة والشباب دراسة أسباب لجوء بعض الشباب لارتكاب هذه الجريمة، ووضع الحلول العاجلة والمتوسطة والبعيدة لوقف هذه الجريمة الوافدة على مجتمعنا الشرقي المتدين.

[٢٢] جرائم الثأر موروثة جاهلي قبيح، لا يناسب المجتمعات

المتحضرة التي تؤمن بالديانات السماوية، وإذا وقعت جريمة القتل وجب ترك عقاب القاتل لجهات القضاء.. وليس لأولياء الدم في عقوبة القاتل شيء إلا العفو أو الدية، وما يقوم به بعض أولياء الدم من قتل القاتل أو غيره، أو تهجير لأقارب القاتل من بيوتهم، أو الاعتداء على ممتلكاتهم بأية صورة من صور الاعتداء هو جريمة لا تقل قبحاً عن جريمة القاتل نفسه، ويجب على جهات الاختصاص اتخاذ كافة التدابير لمنعها.

[٢٣] الشائعات تمثل خطراً شديداً على أمن المجتمعات وتنميتها، وهي

من الجرائم الكبرى المنصوص على تحريمها شرعاً، وعلى الجهات المعنية ملاحقتها، وكشف زيفها، وبيان خطرهما، ووضع العقوبات الرادعة لمروجيها.

[٢٤] السياحة أمر تفره الشرائع السماوية ويجب علينا تصحيح ثقافة

الناس تجاهها، كما يجب على الدولة حماية السائحين، ومنع الاعتداء

عليهم بأية صورة من صور الاعتداء أو الإيذاء، كما يجب معاقبة المعتدي عليهم بالعقوبات المقررة الواردة هذا الشأن، وتعدُّ تأشيرة الدخول الصادرة من الدولة عقدًا أمانٍ يجب الوفاء به شرعًا.

[٢٥] الآثار موروثة ثقافي يُعرف بتاريخ الأمم والحضارات، ولا تُعدُّ

أصناماً ولا أوثاناً - كما يزعم أصحاب الفكر الضالّ - فلا يجوز الاعتداء عليها ولا فعل ما يغيّر من طبيعتها الأصلية، وهي ملك للأجيال كافة، تُديرها الدولة لصالحها، حتى لو عُثر عليها في أرض مملوكة للأشخاص أو الهيئات، ويجب تشديد العقوبات الرادعة عن بيعها أو تهريبها خارج البلاد.

[٢٦] يجوز للمرأة في زماننا أن تسافر من دون محرم؛ متى كان سفرها

آمنًا بصحبة تُرافقها أو وسيلة من وسائل السفر تمنع تعرّضها لما تكره.

[٢٧] ويجوز للمرأة أن تتقلّد كافة الوظائف التي تصلح لها بما فيها

الوظائف العليا بالدولة.

[٢٨] الطلاق تعسّفًا بلا سببٍ معتبر شرعًا حرام، ويؤاخذ عليه شرعًا،

سواء أكان برغبة المطلق أم بطلب من الزوجة؛ لما فيه من إضرار بالأسرة - وبخاصة الأطفال -، ولمنافاته أخلاق الشريعة، وإخلاله بما أَراده الشرع للزواج من الاستقرار والاستدامة، ويجب تجنبه قدر الإمكان للحدّ من فوضى الطلاق، والتحكيم في النزاع بين الزوجين قبل إيقاع الطلاق مأمورٌ به شرعًا، وعلى العلماء المختصين بالفتوى أن يأخذوا بأيسر الأقوال عند بيان الحكم الشرعي فيما يعرض عليهم من حالات الطلاق.

[٢٩] يجب تعويض المشترك في تنمية الثروة العائلية، كالزوجة التي

تخلط مالها بمال الزوج، والأبناء الذين يعملون مع الأب في تجارة

ونحوها، فيؤخذ من التركة قبل قسمتها ما يعادل حقهم؛ إن عُلِمَ مقداره، أو يتصلح عليه بحسب ما يراه أهل الخبرة والحكمة-إن لم يُعلم مقداره.

الوثيقة الثانية

كَيْفَ نَسْتَخْرِجُ مَوْضُوعَاتٍ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ؟

سؤال طَرَحَهُ طُلَّابُ الدَّرَاسَاتِ الْعُلْيَا

فِي قِسْمِ الْبَلَاغَةِ وَالتَّقْدِيرِ فِي جَامِعَةِ الْأَزْهَرِ

وَيُجِيبُ عَنْهُ:

فَضِيلَةُ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ

مَحْمَدٌ مَحْمَدٌ أَبُو مُوسَى

أُسْتَاذُ الْبَلَاغَةِ وَالتَّقْدِيرِ فِي كُتَيْبَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

كَيْفَ نَسْتَخْرِجُ مَوْضُوعَاتٍ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ؟

أ.د. / محمد محمد أبو موسى

ذكرتُ وكررتُ أن كلام العلماء عِلْمٌ وَمَنْبَهَةٌ لِعِلْمٍ، يعني: فيه عِلْمُهُمْ وفيه إشارةٌ إلى عِلْمٍ لم يكتبوه، وإنما عِلْمُهُمْ نَفْسُهُ مَنْبَهَةٌ إلى عِلْمٍ مسكوتٍ عنه، ويجب على من يأتي بعدهم أن يفتح أبواب العِلْمِ الذي نبّهوا إليه، وهذا هو معنى «امتداد العِلْمِ» و«اتساع العِلْمِ»، ولن أذهب بعيداً في بيان هذا، وإنما سأدلُّ عليه من درسي الذي قلته الآن، ودرسي ليس فيه عِلْمٌ لي، وإنما هو شَرْحٌ لكتاب «دلائل الإعجاز»، والمَنْبَهَةُ التي تفتح لنا أبواباً مُتَّسِعَةً من العلم في هذا الكتاب نفسه.

كنتُ أشرح في باب «الفرق بين الإخبار بالفعل والإخبار بالاسم»، ثم فروق الخبر بين الإخبار بالاسم الذي يكون مرةً نَكْرَةً، ومرةً مَعْرِفَةً، ومعاني الألف واللام في الخبر، وتقديم الخبر وتأخيره.. إلى آخر ما في الباب، وعبد القاهر يكتب هذا تحت عنوان «دلائل الإعجاز»، ولم يُسمِّ الكتاب «إعجاز القرآن» كما سمى الرُّمَّانِيُّ والخطَّابِيُّ والباقِلَانِيُّ.. وغيرهم، وإنما سمّاه «دلائل الإعجاز»، وتسمية الكتاب ليست مَبْنِيَّةً على التَّساهُلِ والتَّسامُحِ، وإنما لها مقاصد لا بُدَّ من الوَعْيِ بها، ثم إنَّ عبد القاهر لم يدرُس في هذا الكتاب إلا الأبواب الآتية: التقديم، والحذف، والفرق بين الإخبار بالفعل والإخبار بالاسم، والقصر، والفصل والوصل، فكيف تكون دراسة هذه الأبواب دلائل إعجاز؟

ويلزِمُ قبل الإجابة أن أُشيرَ إلى أمرٍ أكَّده عبد القاهر، هو أن طرائق تأليف الكلام وتركيبه، التي هي هذه الأبواب وما يُشَبِّهها، هي بابٌ وطريقٌ معرفةٌ فَضْلٍ كلامٍ على كلام، وأننا لو ذهبنا في كُلِّ جِهَةٍ لنبحث عن سِرِّ

فَضْلُ كَلَامٍ عَلَى كَلَامٍ فَلَنْ نَجِدَ إِلَّا التَّأْلِيفَ وَالتَّرْكِيبَ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا لِلإِبَانَةِ الدَّقِيقَةِ عَنِ الْمَعْنَى، وَأَنَّ صَانَعَ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ هُوَ الْمَعْنَى نَفْسُهَا؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَتَطَلَّبُ أَلْفَظُهَا، وَأَحْوَالُ أَلْفَظِهَا.. إِلَى آخِرِ هَذَا الْبَابِ؛ فِدِرَاسَةُ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْكِيبِ تَعْنِي دِرَاسَةَ الْأَلْفَازِ وَالْمَعْنَى، وَلَيْسَ الْبَيَانُ إِلَّا هَذَا، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْقَاهِرِ كَمَا قَطَعَ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَا طَرِيقَ لِمَعْرِفَةِ فَضْلِ كَلَامٍ عَلَى كَلَامٍ إِلَّا بِدِرَاسَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْكِيبِ، قَطَعَ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَا طَرِيقَ لِمَعْرِفَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَضْلِ كَلَامٍ عَلَى كَلَامٍ، وَأَنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ فَضْلَ كَلَامٍ عَلَى كَلَامٍ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ لَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ، وَهَذِهِ حَقَائِقُ ظَاهِرَةٌ، وَالْعِلْمُ بِهَا مُؤَكَّدٌ، وَلَمْ أَجِدْ فِي عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ بَعْدَ عَبْدِ الْقَاهِرِ مَنْ نَقَضَ حَرْفًا مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ.

وَبَقِيلٌ جَدًّا مِنَ التَّفَكِيرِ الَّذِي هُوَ مِنْ تَمَامِ الْفَهْمِ تُطْلُ عَلَيْنَا الْمُنْبَهَةُ الَّتِي تَفْتَحُ لَنَا أَبْوَابًا مِنَ الْبَحْثِ لَا حُدُودَ لَهَا، وَأَنَا لَا أَبَالِغُ؛ لِأَنَّ الْمَبَالِغَةَ فِي بَيَانِ عِلْمِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَفْسَدَةٌ. وَلَا حَظَّ أَنْ فَضْلُ كَلَامٍ عَلَى كَلَامٍ، وَفَضْلُ شَاعِرٍ عَلَى شَاعِرٍ، وَفَضْلُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَلَامِ قَوْمِهِ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ كَلَامٍ = كُلُّ هَذَا لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا الْمَوَازِنَاتِ، وَأَنْكَ إِذَا حَلَلْتَ دِيْوَانَ الشَّاعِرِ كَلِمَةً كَلِمَةً تَكُونُ قَدْ أَحْسَنْتَ فَهْمَهُ، وَلَكِنَّكَ بَعِيدٌ عَنِ بَيَانِ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ فَضْلَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِالْمَوَازِنَةِ الَّتِي أُسَّسُهَا التَّحْلِيلُ الدَّقِيقُ الْمَوْسَسُ عَلَى أَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَنْ يَتَّسِعَ بَحْثُ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ شَاعِرَيْنِ أَوْ كَاتِبَيْنِ فِي ضَوْءِ تَحْلِيلِ مَوَاقِعِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ جَمِيعًا فِي الدِّيْوَانَيْنِ، وَلَيْسَ أَمَامَنَا إِلَّا أَنْ نَدْرُسَهَا بَابًا بَابًا فِي الْمَوَازِنَةِ؛ فَنَدْرُسُ مِثْلًا: «فِرُوقُ الْخَبَرِ عِنْدَ الْأَعْشَى وَأَوْسٍ بِنِ حَجَرٍ»، أَوْ عِنْدَ زُهَيْرٍ وَالنَّابِغَةِ، أَوْ عِنْدَ أَبِي تَمَّامٍ وَمُسْلِمٍ، أَوْ عِنْدَ الْبُحْتَرِيِّ وَأَبِي نُوَّاسٍ، أَوْ عِنْدَ أَبِي الطَّيِّبِ وَابْنِ خَفَّاجَةٍ، وَهَكَذَا تَدُورُ عَلَى الْعُصُورِ، وَتَدُورُ عَلَى الشُّعْرَاءِ، وَعَلَى الْكِتَابِ، وَأَنْ تَوَازِنَ بَيْنَ شَاعِرَيْنِ أَوْ كَاتِبَيْنِ فِي طَرِيقَةِ «التَّقْدِيمِ» أَوْ «الْحَذْفِ»، أَوْ مَا شِئْتَ مِمَّا لَا يَكُونُ الْكَلَامُ كَلَامًا إِلَّا بِهِ، وَأَنَا قُلْتُ مِثْلًا بَيْنَ الْأَعْشَى وَطَرَفَةٍ، ثُمَّ بَيْنَ طَرَفَةٍ

وأوس، ثم بين الأعشى وبشار، ثم.. ثم.. إلى ما لا نهاية له. وإذا قلت لك إن الذي لا نهاية له هو من تمام فهم كتاب «دلائل الإعجاز» فلا تظن أنني أتزيد، وراجع وتدبر وستجدني أختصر الكلام اختصاراً، وقد قرأت بالأمس كلمة لـ«الرافعي» عن «عبد الحميد الكاتب»، ووصفه بأنه من كبار بلغاء الناس، وسألت: أي دراسة بلاغية دارت حول شيخ كتاب العربية الذي هو «عبد الحميد»؟ وقل مثله في أكثر الكتاب وأكثر الشعراء، ولا بد أن نلاحظ شيئاً، هو أن التأليف والتركيب الذي هو اختيار الكلمات وأحوال الكلمات من تعريف وتنكير.. إلى آخره، ومواقع الكلمات من ذكر وحذف.. إلى آخره = لم يكن هو سبيل التفاضل إلا للمعاني التي جاءت فيها هذه التراكيب، وأن التعريف هنا أغزر بالدلالة، وأن التقديم هنا يختبئ وراءه خاطر دقيق، أعني أن البحث في التراكيب يبحث في خواطر ومقاصد ومعاني أصحاب هذه التراكيب، ولا يجوز لعاقِل أن يتكلم في التنكير مثلاً إلا من أجل أن يستخرج سرّاً من أسرار نفس قائله، وهذا يعني أن أساليب التقديم عند «بشار» لا محالة مختلفة في دلالاتها عن التقديم عند غيره، ولو كان التقديم عندهم سواءً لكان كل الشعر سواءً، وهكذا قل في كل كلمة في الشعر أو النثر. المطلوب هو استخراج الذي وراءها؛ لأنها لم يجربها لسان قائلها إلا للعبارة عن معنى، بل أكثر من ذلك نقول في رئين الكلمات وتلاؤمها في النسق. إن هذا الرئين وهذا التلاؤم الصوتي له دلالة، وقديماً عدّ «الرؤماني» التلاؤم الصوتي في الكتاب العزيز وجهاً من وجوه إعجازه، وذهب الرافعي وعبد الله دراز إلى قريب من ذلك.

قلت إن أي بحث لا يتسع للموازنة بين شاعرين إلا في طريق واحد؛ كالنوكيد، والإنشاء، والتقديم.. إلى آخره، ولا قيمة لهذه البحوث ما لم تكتشف السر الذي وراء هذه الأحوال، ثم يلاحظ شيء هو من الأهمية بمكان، وهو أن علماءنا لما تكلموا في أسباب التقديم أو التعريف أو التنكير إنما قالوا ما قالوا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر؛ فقد تجد في التعريف شيئاً لم ينبّه أحد إليه؛ لأنك رجعت إلى الأصل الذي استخرجت

منه البلاغة، وقد قالوا ما قالوا للذي استخرجوه، ولا يزال البيان مكنوناً على ما هو مكنونٌ عليه، بل إنَّ الأحوال والأحداث وتجارب الأزمنة ربما كانت عوناً على إنطاق هذا المكنون الذي بقي صامتاً في الكلام منذ أن قيل.

وقد سألتني طالب علم عن قوله تعالى: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا

وَتَقَوَّيَهَا): لماذا قدّم «فجورها» على «تقواها» و«تقواها» هو الأكرم والأفضل، فقلتُ له ما قلتُ، فقال لي: لماذا لم تقل لي إنَّ هذا التقديم يُفيد أنَّ الوصول إلى «تقواها» هو أن تتجوّ من «فجورها»؛ فإذا كنت قادراً على قهر «فجورها» وصلت إلى «تقواها»؛ فاستحسنْتُ ذلك جدّاً، وقلتُ إنَّ الكلام لا تزال فيه خمائرٌ ودقائقٌ وخواطرٌ وأسرارٌ غير التي استخرجها سادتُ العلماء، والذي لحظَ هذه الملاحظة في الآية لم يكن عبقرياً ولا لودعياً، وإنما فقط كان يفكر.

ومن المنبّهة التي تستخرجها من كلام عبد القاهر أنه بدأ بـ«أسرار البلاغة»، ولم يتكلّم فيه في الإعجاز، وقال - بعد حمد الله، والثناء عليه، والصلاة والسلام على صفوته من خلقه، صلوات الله وسلامه عليه - إنه وضع هذا الكتاب ليستطيع دارسه أن يحكم بين الكلامين بالحق والقسطاس وصائب الميزان، يعني أن أوّل صفحة له في البلاغة تقول لنا: إنَّ علم البلاغة هو الموازنة بين الأقوال والأشعار، وأنَّ فهم كلام البلاغيين من غير هذه الموازنة هو فهمٌ مُعلّق في الهواء، ومُعطلٌ، وبعيدٌ عن الذي كان له، وهو درسُ البيان والموازنة بينه، ثم إنَّ الكتاب ليس فيه إلا التشبيه والتّمثيل والاستعارة والمجاز العقلي والفروق بين هذه الفنون. والمنبّهة التي وراء ذلك هي القول بأنَّ الموازنة بين الشعراء والكتاب تبدأ بهذه الفنون؛ لأنها أظهر، والعلم بها أقرب، والوصول إلى خباياها أيسر، وكأنّه من وراء الغيب يقول لنا: درستم تشبيهات فلان وفلان، وقاربتُم أن

تَسْتَقْصُوا شعراءكم، ولكنكم لم تَدْرُسُوا موازنةً واحدةً، مع أن أَوْسَعَ كِتَابٍ في تراثكم اسمه «الموازنة»، فأين تذهبون؟!

والتشبيه وإخوانه مما يَنَاقِشُ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَالْأَجْدَرُ وَالْأَجْدَى أَنْ يَبْدَأَ الطَّالِبُ الْمُبْتَدِئُ فِي الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ شَاعِرَيْنِ فِي التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ، وَكُلُّهَا فَنُونٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، أَقُولُ: يَبْدَأُ بِالْمَوَازِنَةِ فِي التَّشْبِيهِ مِثْلًا أَوْ الْمَجَازِ بَيْنَ شَاعِرَيْنِ فِي زَمَانَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، كـ«التشبيه بين طَرْفَةِ وَابْنِ الْمُعْتَزِّ»، أَوْ بَيْنَ فُلَانٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفُلَانٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَأَقْلُ مَا يَجِبُ أَنْ تُعَلِّمُوهُ لَطَالِبُ الْعِلْمِ هُوَ تَطَوُّرُ التَّشْبِيهِ بَيْنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ مِثْلًا، وَلِمَاذَا بَقِيَتْ تَشْبِيهَاتُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي السَّنَةِ النَّاسِ، وَذَهَبَ أَكْثَرُ تَشْبِيهَاتِ قَوْمِهِ ✕؟، فَضْلًا عَنْ تَشْبِيهَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ، أَيْ شَيْءٍ مَاتَ مِنْ تَشْبِيهَاتِ الشَّمَاخِ وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟، وَلِمَاذَا مَاتَ الَّذِي مَاتَ وَبَقِيَ الَّذِي بَقِيَ؟، وَمِثْلُ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ كَاتِبٍ، وَكُلِّ شَاعِرٍ، وَفِي كُلِّ عَصْرِ، وَفِي كُلِّ أَرْضٍ، لِمَاذَا تَعِيشُونَ مَعَ طُلَّابِكُمْ فِي قَمَقَمٍ وَكُتُبٍ عِلْمَانِكُمْ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ تَشْرَعُ لَكُمْ أَبْوَابًا، وَتَضَعُ لَكُمْ فِي سَمَائِكُمْ نَجُومًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ؟

قُلْتُ لَطَلَّابِي وَأَكْرَرُ: إِنَّ بَحْثَ أَيِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ فِي كُتُبِ الْبَلَاغَةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ جَدًّا، وَبَحْثُهُ فِي دِيْوَانِ شَاعِرٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَضْعَافِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، ثُمَّ لَا تَدْرِكُهُ إِدْرَاكًا حَقِيقِيًّا إِلَّا بِجَدِّ وَاجْتِهَادٍ وَطَبْعٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ.

وَقُلْتُ: دَرَسْنَا التَّشْبِيهَ الْمُرَكَّبَ وَتَرَكْنَاهُ هَكَذَا فِي الْمَطْلُوقِ، وَلَمْ نَدْرُسْ طَرِيقَةَ شَاعِرٍ فِي تَرْكِيبِ التَّشْبِيهِ وَمَوَازِنَةِ ذَلِكَ بَغَيْرِهِ. وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا: لَمْ نَدْرُسْ مَذْهَبَ مُحَمَّدٍ حَسَنِ إِسْمَاعِيلَ فِي تَرْكِيبِ التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَصُورِ الْبَيَانِ، وَكَيْفَ تَفَرَّدَ بِذَلِكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ جَعَلَهُ يَتَفَرَّدُ: هَلْ هُوَ طَبِيعَةٌ عَقْلِيَّةٌ؟، هَلْ هُوَ خِيَالٌ خَاصٌّ؟، هَلْ هُوَ تَعَمُّقٌ فِي الْمَعَانِي وَاقْتِنَاصُهَا مِنْ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ؟.

ولاحِظْ أنَّني لم أَتكلَّمْ عن تطوُّر الأساليب، وكيف صار لكلِّ زَمَانٍ سَمَتٌ في بناء كلامه؟

أين الدَّرْسُ البلاغيُّ حول بلاغة الإمام عليٍّ - كرم الله وجهه - ؟. لقد ذَكَرَ «الرافعيُّ» أنَّ بلاغة النبوة بَقِيَتْ في آل بيته إلى أنْ كان ما كان؛ فأين الدَّرْسُ البلاغيُّ الذي يَتَّبَعُ أثرَ بلاغته في آل بيته، وذَكَرَ الرافعيُّ أنَّ بلاغة الحسنِ البصريِّ رَاجِعَةٌ إلى أنْ أُمْنَا أُمَّ سَلَمَةَ أَرْضَعَتْهُ، فأين بَحْثُنا في كلامِ البصريِّ لاستخراج هذه البلاغة التي كان طريقها الرِّضَاعُ، وكأنَّ الرِّضَاعَ كالنَّسَبِ حتَّى في البيان.

(١) نسخة مخطوطة للدكتور محمد محمد أبو موسى

كيف يخرج مؤلفات المجتهد العلمي (١)

ذكرت ذكرت أن كلام العلماء علم وحقيقة علمي يعني فيه
علمهم وحقيقته إشارته العلم لم يكتسبه وإنما علمهم نفسه متغيرة
التي علم متكون عنه ويجب على من يأتي بعدهم أن يتحققوا أحوال
العلم الذي شغلوا فيه، وهذا هو معنى اعتبار العلم واستعماله
ولم أذهب بعيداً في بيان هذا وإنما أردت عليه من درس
الذي قلته أن العلم، ودرس ليس فيه علم في وإنما هو شرح كتاب
دليل على العجز والمعرفة التي تفهم لنا أحوالاً متغيرة مع العلم
من هذا الكتاب نفسه.

كيفية استخراج من باب الفرد بينه وبين غيره بالفصل والكتاب بالاسم
ثم فردوا الجواب بينه وبين غيره بالاسم الذي يكون مرة فمرة ومرة معروفة
ومعاني هذه والاسم من الجنب وتقسيم الجنب وتقسيمه إلى أجزاء
وعليه لظاهر يكلف هذا الحق عنوانه في كتابه الجواز، ولم يسم الكتاب الجواز
الفرأى كما سيجي (الباحثان في الخطوط والدرمان وعلمهم وإنما سماه ذلك الجواز
لتسمية الكتاب ليس به من غيره في السائل والباحث وإنما سماه
لأنه من الجواز) ثم إن السائل لظاهر لم يدرس من هذا الكتاب بالاسم الجواز
وتقسيمه، المقصد التقديم والخرق والفرد بينه وبين غيره بالفصل والكتاب
بالاسم والعصر والنقص والوصول، فكيف تكون ذلك من هذه الجواز
في كتاب الجواز؟ ويلزم على الباحث أن أصدر إلى آخر الأمر هذه
القاهرة، وهو أن طرائق تأليف الكلام وتركيبه إلى هذه الجواب وما يشبهها
في باب وطريق معرفة فضل كلام في كلام، وإنما لود هذا من كل وجه
ليبحث عن من فضل كلام في كلام فليس له الجواب والتأليف والترتيب
الذي لا يكون إلا باليد ياتى الحقيقة عن المعاني وأن هذا التركيب والتأليف
لها المعاني نفسها لا يخفى أن متطلباتها وأحوالها المعاني والاسم
فيها الجواز أقصد من التأليف والترتيب معنى دراسة إلى المعاني والمعاني وليس
ليبدأ به هذا، ثم إن السائل لظاهر كلما قطع القول بأن طرائق لمعرفة
فضل كلام في كلام إن بدراسة التأليف والترتيب قطع القول بأنه
طريق لمعرفة الجواز الفرأى أن يعرف فضل كلام في كلام وأن يكون
يعرف فضل كلام في كلام لم يستطع أن يعرف فضل كلام في كلام
هذه جهات طاهر والاسم لا يمكن ولم أجد من علماء الأمة من سببه
لظاهر من تقصير حرفاً من هذا الحقائق

(١) أمدا بهذه النسخة الخطية فضيلة الدكتور/ياسين عطية، مدرس البلاغة
والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

٢

وقيل لهذا التفسير الذي هو من تمام الفهم ^{في} قتل قتل
 علينا المنبرية التي نفتي لها أبواباً من الكتب لا بد من إدراكها
 لا أباغ لأمر المبالغة في بيان فاسم أهل العلم مفيدة ولا حظ
 أن فضل كلام على كلام وفضل شاعر على شاعر وفضل كلام سيدنا رسول
 الله على كلام غيره وفضل كلام الله على كل كلام على هذا لا معنى له بل
 المواد تأتي وأنت إذا جالست ديواناً منكم كلمة طرفة تكون قد أحسنت
 فهمه وكتبت له بعد ذلك بياناً فضله على غيره لأن فضله على غيره أو
 وفضل غيره عليه لا يظهر إلا بالموازنة التي أفاضها التحليل الدقيق
 الواسع على أجواب هذا الكتاب، ولم يتبع بحثاً إلى الموازنة بين
 شاعرين أو كتابين من جنس واحد بل موازنة الأجواب من الديوانين وليس
 أمراً إلا أن لا يربطها بيناً بيناً من الموازنة فتد من هذا أثر من الجهد
 عند الأخت والوسم به جدير أو عند زهير والناسيف أو عند أبي تمام وأسلم
 أو عند أبي العباس وأبي نوح أو عند أبي نبيش وأبي جابر فإجابة
 ذلك قد سددت في المصدر ومنه خرجت شعراء طبع الكتاب وأنت توارن
 بين شاعرين أو كتابين من جنس واحد ^{في} التقديم أو الترتيب أو ما شئت
 بما لا يكون الكلام كلاماً إلا به وأنت جالست هؤلاء الأئمة وطرفاً
 ثم بين طرفة دارس ثم بينه بؤس وبتار ثم ثم إلى ماله رغبة
 له وأنت حكمت له أن الأول له رتبة فهو من تمام ثم كتاباً في ذلك
 لا يميز فلا تظهر أنى أتميز ورتبة وقد برحمتي وسخيتي أنت هذا الكلام
 القصاراً وقد قرأت في بعض الكتب للرائف من عبد الحميد الكاتب ووصفه
 بأنه من كبار ملغوا الناس وسألت أن أدركه بيلانهم دارساً في
 صحيح كتاب العربية الذي هو لبيد الحميد، وكل مثله من أكثر الكتاب وأكثر
 الشعراء ولدي به أن تلاحظ شيئاً وهو أن التأليف والتراكيب الذي هو مختص
 اختيار العلماء حاله حال العلماء من تقريب وتنكير إلى آخره ومواقع
 العلماء من ذكر وهدى إلى آخره لم يكن هو مسمى التأليف إلى العلماء
 التي جازتها هذه التراكيب وأن التقديم هنا أكثر من اللاحق وإن التقديم
 هنا يختص به وراه حاله دعوى التي أن البحث من التراكيب بحث من خواص
 وصفها ومما أن كتاب التراكيب ولا يجوز لها أن يتكلم في
 التنكير مثلاً إن سر أهل أن يخرج سره أسرار نفس قائم وهذا
 يعني أن أساليب التقديم بعد بيان الحالة متعلقة من ذلك ولا بد
 من التقديم عند غيره ولو كان التقديم على سواه لكان لا بأس

[illegible]

٤

هذه الفنون. والمقصود من هذه القول بأن الموارنة
 السواء والكتاب تبدأ بهذه الفنون لأنها أظهر وأعلم بها
 أقرب إلى أصولها إلى فهمها لها أيسر. وكما أنه من وراء الغيب يكون
 لنا درس في فهمها من علوم وعلم وفهم أن تفهموا شعراكم
 ولكنكم لم تدرى ما معارضة جامعة مع أن أرفع كتاب في فهمها كما
 الموارنة قانين تذهيبون والتشبيه أو فوائده بما يتأتى من الموارنة
 والمطالعة والتجديد والتأليف أول مبدأ الطالب المبتدئ في المطالعة
 فيه شاعرون في التشبيه والمجاز والكتابية وكلها حقوق مستفادة من
 الرمان والمطالعة أول مبدأ في الموارنة في التشبيه من أروع المجاز
 فيه شاعرون في زمانين مختلفين طالبت فيه في طرفة عين المقلد أو دليل
 فله من شعراكم التي عليه ومعارضة مع شعراكم في التشبيه والتشبيه
 ما يجب أن تعلموه لطلاب العلم هو تطور التشبيه فيه إلى علمه والتشبيه
 مثلا. ولماذا يضيف تشبيها من شعراكم إلى علمه علمه وكم في
 السعة الثانية وفيه أكتفى فيها بمؤلفه عليه السلام فضلائه
 تشبيها في العزائم التي لم يتخلف منها حرف واحد أي تشبيهات مع
 التشبيها في السماح وأي تشبيه في جملها والمفاد ما في الذي ما في وجف
 الذي يعني ذلك هذا يقال في كل كتاب وكل شاعر ومن شعره في أروع
 لما في العيون مع طلائع في تخفيف وتنب على ما في أيديكم
 تشريع لكم أيها با وقض لكم من شعراكم بما في علمكم تشريع
 قلت لطالما وأكرر أن تشريع أي ما في شعراكم بما في العلم من كتب
 البلاغة لا يحتاج إلى أي أيام عليه السلام وكم في ديوان شاعر
 يحتاج إلى أصناف هذه الأيام ثم لا يدركه أدراكا فهمها في جملها
 وطبع وقدرة على التمييز أو كلف دراستها التشبيه المركب وتكراره
 من المطلق والمجرد بما في كبرى تشبيه الموارنة وذلك في علم
 وأكتفى من هذا المدرس من تشبيها بما في تشبيه تشبيه
 وهو البيان وكيف تعرف به ذلك وأي تشبيه تشبيه
 هو هو في حالها من؟ هو هو تشبيه المعاني وأي تشبيه تشبيه
 ودر خط أنت لم أظلم من تطور التشبيه وكيف صار فكل ما في تشبي
 في بناء كلامه؟ أي التشبيه التشبيه
 ذكره الرافض أن ما يدرى تشبيها في آله تشبيه تشبيه وكم في تشبيه تشبيه
 قانين التشبيه التشبيه الذي يتبع التشبيه تشبيه تشبيه وكم في تشبيه تشبيه
 أن تشبيه التشبيه التشبيه الذي تشبيه تشبيه تشبيه وكم في تشبيه تشبيه
 من كلام التشبيه التشبيه التشبيه التشبيه وكم في تشبيه تشبيه

الوثيقة الثالثة

في أصول البحث العلمي

للعامة الأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل

أستاذ اللغويات وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة الأسبق

اختياراً د/ عوض إسماعيل

أستاذ اللغويات المتفرغ

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة السابق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على سيد الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد

فقد عرَفْتُ أستاذنا وشيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور/ السيد رزق الطويل عن قرب وزاحمتُ رُكبتاي رُكبتيه ناهلاً من بحر علمه الزاخر: لغة، ونحواً، وصرفاً، وفقهاً، وأدباً، وخلقاً طيباً، ومعاملة هينة لينّة، ودعوة إلى الله- عز وجل- بمنهج وسطي أزهرى معتدل. شرفت بأن كنت تلميذاً بين يديه في مرحلة الإجازة العالية، فاستمعت إليه في شرح كتابه الرائع (من قضايا اللسان العربي) في أسلوب شائق رائق، وكان له-رحمه الله- فضل سبق معي في أن وضع يدي على معرفة أسرار لغة القرآن ودقائقها، والبحث عنها وعن لطائفها.

ثم شرفت بأن تتلمذت على يديه الكريمتين في مرحلة الدكتوراه حيث أشرف على بحثي: (المنصوبات المتشابهة دراسة نحوية قرآنية). فكان له اللمسات الواضحة في إخراجها، وفي بناء شخصيتي البحثية المحبة للغة وأسرارها، وبخاصة في النص القرآني المبارك، والحديث النبوي الشريف فجزاه الله عني وعن طلاب العلم في كل مكان وزمان خيراً وأجزل له المثوبة والعطاء إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وقد عرض علي الدكتور صبري أبو حسين فكرة اختيار مادة علمية لأحد أعلامنا الكبار في تخصص اللغويات، تكون بمثابة الوثيقة في تنوير شدة البحث العلمي في تخصص اللغويات، فكان الاختيار من كتاب أستاذنا السيد رزق الطويل (مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث). وقد أَلَفَ أستاذنا هذا الكتاب في ٢٩ من ربيع الأول ١٤٠٩هـ = ٩ من

نوفمبر ١٩٨٨م. ووقع اختياري على نصين من نصوص هذا الكتاب الطيب: نص عن (أصول البحث العلمي)، ونص عن (سلبيات في تحقيق التراث العربي). وهاكهما:

[مدخل]:

إن البحث العلمي يعد من أسمى ألوان النشاط البشري؛ إذ هو الطريق الأقوم لرقى الإنسان وسموه، وعلى دربه تدرج البشرية في مدارج النماء، وترتقي في سلم الحضارة، والنشاط الإنساني متواصل في المشارق والمغارب تتعاون فيه الجهود من أجل أن يحقق الإنسان حياة أمثل على ظهر الأرض، يعرف فيها حق خالقه ومولاه، وحق بنى جنسه عليه، كما يعرف حق الحياة بما عليها: كيف يعيش فيها ويعايشها ويتعامل معها؟ والدين، الدين الحق الذي اصطفاه الله أقوم مناهج الرشد، في ظلاله يستطيع الإنسان أن يكتشف المخبوء من سنن الكون، وقوانين الحياة، ونواميس الوجود، وعند ذاك يتحول إيمانه الصادق بالله إلى قوة خلاقة ومبدعة.

وعلوم الحضارة الإسلامية أصدق شاهد ودليل، إذ كانت الأستاذ والمعلم لما أتى بعدها من حضارات، وهي برغم الأقول الجزئي لاتزال تحتفظ بعناصر قوتها وهي قادرة على استرجاعها فنية جذعة إذا تهيأت لها الظروف والأسباب.

ومن أجل ذلك تحمل طلابنا على أن يأخذوا أنفسهم بالبحث والدرس وكشف المجهول ورفع الأستار عن المخبوء، وبخاصة أنهم أبناء ثقافة ذات عراقية وأصالة، تدفعهم بجانب البحث المتنوع في دروب المعرفة الإنسانية إلى الاهتمام بتراثهم الضخم الذي تنوء به خزائن الكتب في الشرق والغرب، وتنبه له المستشرقون قبل أن يفزع لبعثه وإحيائه بنو جلدته.

وقد يكون للمستشرقين فيما ذهبوا إليه أهداف مدخولة، لكنهم سارعوا إلى استغلال الآلة الحديثة للطباعة في بعث هذا الفكر الإنساني، وتحرك الغير من أبناء العرب والإسلام من منتصف القرن التاسع عشر إلى بعث نفائس التراث سواء على مستوى الأفراد أم الحكومات.

وبقدر أهمية البحث العلمي تكون أهمية المنهج. وعلى قدر فضيلة إحياء التراث تكون أهمية مراعاة الأصول المتبعة في التحقيق وتحرير النصوص. واتساع نطاق التعليم الجامعي على أرض العالم العربي كان باعثاً على تعدد مجالات البحث، وتوافر قاعاته، كما كان دافعا إلى جعل التحقيق العلمي للتراث علماً له أصوله وقواعده، وأعرافه وضوابطه. وظهرت مؤلفات تتحدث عن المنهج، وتقدم للأجيال خبرات نافعة على طريق التحقيق. وفي هذه المؤلفات محاولات لتقنين الخبرات والتجارب لتصبح أصولاً مرعية، وقواعد متبعة.

وتعددت أهداف هذه المؤلفات، فمنها ما توفر على التحقيق ومناهجه، ومنها ما تحدث عن المكتبة الإسلامية وتطورها وما تحفل به من مصادر في سائر ألوان المعرفة الإسلامية واللسانية والإنسانية والفكرية.

غير أني أردت أن أقدم لطلاب العلم في جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات الإسلامية مرجعاً شاملاً يهديهم على طريق البحث وقد جمع هذا الشعب كلها في إنجاز بلا إخلال.

غير أني أردت أن أقدم لطلاب العلم في جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات الإسلامية مرجعاً شاملاً يهديهم على طريق البحث وقد جمع هذا الشعب كلها في إنجاز بلا إخلال.

لقد استفدت ممن كتبوا قبلي ورادوا هذا الطريق، ومزجت ذلك بتجارب شخصية ومعاناة خاصة هي حصيلة الإشراف على رسائل كثيرة

لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وبحوث طلب منى تقويمها، والحكم لها أو عليها، والتدريس لطلبة الدراسات العليا.

إنني أكتب عن تحقيق التراث، وأجمع خبرات أعلامه، ولم يسبق لي التحقيق وإن كنت الآن أعيش مع مخطوطة في النحو صغيرة اسمها "الضوابط الحسان فيما يتقوم به اللسان" لأبي العباس، شهاب الدين أحمد، وذلك حتى لا يفوتني الإسهام في هذا الطريق النبيل.

ومع هذا فقد عشت مشاكل التحقيق وعثراته من خلال من ناقشت رسائلهم في التحقيق، أو من أشرفت عليهم ممن اختار هذا المجال البحثي طريقاً للدرجة العلمية...

أولاً: البحث العلمي وأصوله

قيمة البحث العلمي:

ما دام الإنسان يؤدي رسالة الخلافة على الأرض التي أرادها له الله يسعى حثيثاً لكشف المخبوء من قوانين الكون، وأسرار الحياة، طلباً للعلم والمعرفة.

وقد أكد الإسلام أن طلب العلم من أشرف مقاصد، وأسمى الغايات التي ينبغي أن يسعى إليها الإنسان، وبخاصة الإنسان المسلم، يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) الزمر: ٩، ويقول جل شأنه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (١١) المجادلة: ١١، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١٨) فاطر: ٢٨، كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"، كما قال عليه الصلاة والسلام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

إن البحث العلمي، والسعي وراء اكتساب المعارف من أعظم الوسائل للرقى الفكري والمادي، كما أنه المؤكد للكرامة والفضل للذين منحهما الله للإنسان من بين مخلوقاته، ولأجل أن يتحقق هذا الهدف سخر الله للإنسان كل ما في الوجود، يسعى في مناكب الأرض، ويسبح في أجواء الفضاء، ويغوص في أعماق البحار، وقد صدق رب العالمين إذ قال وقوله الحق ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجن: ١٣)، كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، ومادام الإنسان يسعى وراء المعارف فإنه يتسع أفقه وتتمو مداركه، وتتعاظم خبراته فإذا ظن الإنسان أنه قد وصل إلى درجة كافية من العلم والبحث، فمن هنا يبدأ مرحلة جديدة يتورط فيها في ظلمات الجهالة.

وقد صحت الحكمة القديمة التي تقول: إن المرء ليعلم مادام يطلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

وقد جاء في كتاب أدب الدنيا والدين نصيحة عبد الملك بن مروان لبنيه: "تعلموا العلم فإن كنتم سادة ففتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم".

وقد أثر عن بعض السلف قوله: من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو علم حصّله، فقد عقر يومه، وظلم نفسه.

تعريف البحث العلمي:

عرض الباحثون تعريفات شتى للبحث العلمي، وهم في كل تعريف يصدر الواحد منهم عن منظور خاص، وتصور شخصي يصعب معه الشمول، كما نرى بعضهم حدد معنى البحث على أساس ميدانه، فالباحث في العلوم

التجريبية له تعريف محدد، والبحث الأدبي له منحى معين، والبحث الديني قد يكون له مفهوم يختلف عنها جميعاً.

ومع ذلك أستطيع أن أقول: إن البحث العلمي عمل جاد، موضوعي يرمى إلى الوصول إلى حقيقة معينة، أو تجلية قضية أو حسم الأمر في مشكلة من مشكلات المعرفة الإنسانية.

هذا على سبيل التقريب.

لكن الأمر يتحدد تماماً إذا جلينا نقطتين.

أولهما: صور البحث ومجالاته.

والأخرى: الخلق العلمي للباحث.

صور البحث ومجالاته :

(أ) الوصول إلى مجهول:

وذلك بأن يتناول الباحث عدداً من المقدمات، والدراسات، والقضايا يضم بعضها إلى بعض في إطار فكري متناسق ليصل إلى أمر مجهول يريد كشفه وإثباته.

مثال ذلك كتابة بحث عن: نظرة الإسلام إلى شركات التأمين. أو كتابة بحث عن: المصالح المرسله وتوظيفها في معالجة القضايا المستجدة. أو كتابة بحث عن: العنصر الموسيقى في صوتيات اللغة العربية. أو كتابة بحث عن: التوهم في الدرس النحوي والتصريفي.

(ب) جمع متفرق:

قد تكون هناك مسائل علمية متفرقة في بطون الكتب موزعة في مصادر التراث، وتحتاج إلى بحث واستقراء دقيقين ليصل الباحث إلى تصور شامل لما تفرق في صورة قضية واحدة متكاملة الأطراف والعناصر، وهذا لون

من البحث وإن لم يأت بجديد لكنه جهد مفيد مثمر، يبسر للأجيال التالية أن تخطو على أساسه خطوات واسعة.

وذلك مثل كتابة بحث عن: قضية الخيار في الفقه الإسلامي. أو مثل كتابة بحث عن: أسلوب النفي في النحو العربي. أو مثل كتابة بحث عن: أساليب الاستغراق والشمول في النحو. أو مثل كتابة بحث عن: الخيل في الشعر الجاهلي.

(ج) إكمال ناقص:

قد تعالج بعض القضايا في عصور سابقة معالجة لا تستوفي عناصر الموضوع نظراً لأن المراجع، وأدوات البحث لم تكن متوافرة حينذاك، فيأتي باحث معاصر يكتشف عناصر أخرى يكتمل بها الموضوع، وتتوافر له أدوات لم تكن متاحة من قبل، فيعيد دراسة الموضوع ليستوفي ما كان ناقصاً، وليعرض وجهة نظر جديدة. بما يعود بالإنراء على البحث العلمي. وقد بحث أسلافنا الأوائل في قضايا. وأعدنا في عصرنا الحاضر دراستها، فكانت النتيجة أن وجدنا جديداً ومفيداً.

وقد كتب كثيرون في القديم والحديث بحوثاً عن المتنبى لكن البحث الذي كتبه الشيخ محمود شاكر بما فيه من عمل تحليلي متميز شد انتباه لجنة التحكيم لجائزة الملك فيصل، ومنحت الشيخ الجائزة.

(د) تفصيل مجمل:

قد يكون هذا الأمر في مجال البحث ليس بذى شأن كبير، لكنه على كل حال جهد مفيد ونافع ويدفع صاحبه إلى الغوص في بطون الكتب لاستخراج المسائل التي يفصل بها ما أجمله غيره.

وفى تراثنا شواهد كثيرة لهذا اللون من البحث، وأقرب شاهد لذلك المتون والشرح. والمتون وهي تضم رعوس المسائل لا تغنى - كما نعلم - عن

الشروح. وأحياناً يقوم بالشرح صاحب المتن، وأحياناً يقوم بذلك غيره. وأعظم متن في تراثنا حظي بكثرة الشروح هو ألفية ابن مالك في النحو.

(هـ) تهذيب المطول:

وهناك ألوان من البحوث تعتمد إلى المطولات فنستعيد منها ما عسى أن يكون من حشو وفضول، ومعارف يمكن أن يستغنى عنها في تعليم المبتدئين، وتسمى بالتهذيب.

وهو لون من البحث شائع في تراثنا، مثل: تهذيب الأغاني، وتهذيب السعد وتهذيب التوضيح. وقيمتها العلمية أنه كسابقة يمكن أن يستفاد به في مجال التعليم.

(و) التعقيبات والنقائص:

هذا لون من البحث يعتمد على التعقيب على بحوث سابقة، أو نقض ما فيها من قضايا، وكشف ما فيها من زيف، أو مخطئة ما ورد فيها من آراء واجتهادات. مثل: تهافت الفلاسفة للغزالي، وتهافت التهافت لابن رشد، والرد على النحاة لابن مضاء القرطبي. ومنها كتاب منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية.

ومن البحوث الحديثة: ما يقال عن الإسلام للأستاذ عباس محمود العقاد. وكتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، والرد على هانو تو للشيخ محمد عبده.

(ز) وهناك بحوث تتناول بالدراسة أحد أعلام العلماء في أي علم من العلوم بحيث يدرس الباحث حياته، وبيئته، وثقافته، وشيوخه وتلاميذه ونتاجه العلمي، وماله من إضافات فيه، ومنزلته بين نظرائه من أعلام عصره.

وأهمية هذا البحث أن الباحث المتوفر على ذلك تتاح له فرصة تتبع نتائج هذا العالم وإبراز ما خفي منه، كما يمكنه أن يستخرج من كتبه الآراء الجديدة والمفيدة التي تكون عاملاً في تطوير هذا العلم الذي برز فيه. وهذا اللون شائع في عصرنا الحاضر؛ لأنه ميسور للباحثين من أجل الحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه.

وقيمة هذا الموضوع تظهر في طبيعة البحث نفسه، وخطة الباحث، وجهده المبذول فيه، وفطنته.

(ح) تحقيق النصوص:

وهذا مجال اتجه إليه الباحثون في عصرنا الحاضر، ولعلمهم وجدوه ميسوراً كسابقه؟ إذ لا يكلف الواحد منهم سوى البحث عن مخطوط لم ينشر، أو نشر غير محقق فيقوم بتحقيقه، وضبط نصوصه وتحريرها. ولا أريد أن أدخل في أصول التحقيق لأنني سأعالجه في باب خاص من هذا الكتاب.

والعيب في هذا المجال من مجالات البحث أن كثيراً ممن يلجون بابه من طلاب العلم يفعلون ذلك بدون خبرة كافية، وتحقيق النصوص بالدرجة الأولى خبرة وفطنة أكثر من معارف.

ولأجل هذا فإن البحث في تحقيق النصوص تعظم قيمته إذا اقترن به دراسة جادة لمؤلف المخطوط تكشف عن جهده العلمي وآرائه التي تفرد بها.

وهذه المجالات المتعددة تختلف -بلا ريب- من حيث القيمة العلمية وأعلىها أولها، ويليهما الثاني، وكذا بحوث التعقيبات والنقائض.

لكن الذي أريد أن أؤكد أن قدرة الباحث، وفطنته، وتمكنه من المادة يجعل لبحثه قيمة عالية، ولو كانت طبيعة البحث من هذا اللون الوصفي الذي لا يتطلب جهداً كبيراً أو إمعاناً في النظر والتحري والتمحيص.

عدة الباحث وخلقه العلمي :

لابد لمن يلج ميدان البحث العلمي أن يتوافر فيه عدد من الخصائص والسلوكيات حتى يخرج بحثه على الصورة المرجوة التي تثري المعرفة الإنسانية، وتضيف إليها الجديد والمفيد.

١- غزارة العلم، وسعة المعرفة، والخبرة الواسعة بالميدان الذي يبحث فيه حتى يمكنه استخراج ما هو محتاج إليه من بطون المراجع والموسوعات العلمية . وأن يقرأ كل ما يتصل ببحثه من مؤلفات قديمها وحديثها. وأن يحسن فهم ما يقرأ، ويدرسه دراسة فاحصة متأنية حتى لا يقع في الخطأ أو الوهم.

٢- ألا يأخذ ما يقرأ مما انتهى إليه غيره قضية مسلمة لا تقبل المراجعة مهما كانت شخصية هذا الباحث، وليضع في اعتباره هذه الحقيقة: يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

٣- الموضوعية، ومعنى هذا أن يكون جهد الباحث منصباً على الموضوع الذي يبحث فيه بصرف النظر عن بحثوا في هذا الموضوع، ويمكن أن يأخذ ما تبين له أنه حق مهما قيل في صاحب هذا الرأي من اتهامات، وأن يرد ما رآه باطلاً، ولو كان صاحبه معظماً في عيون الناس. فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها.

فلا أورد رأياً حسناً في القضية للزمخشري مثلاً - لأنه معتزلي، ولا رأياً وجيهاً لنافع الأزرق لأنه من الخوارج.

بل أطلب الحق حيث وجد، وللق مقاييس معروفة في مقدمتها الموافقة لكتاب الله، والسنة الصحيحة، والعقل الصريح، والواقع المحس.

ولابد من اتزان الأسلوب فلا يكون إنشائياً مفعماً بالمشاعر، متأثراً بالعواطف، يثير الشعور، ولا يقنع العقول.

بلا لابد من الأناة والروية والتعقل، والحيدة التامة.

٤- النزاهة، وتعنى البعد عن الهوى والتعصب في عرض الآراء ومناقشتها، والبعد عن التحامل، فيعرض رأى الغير وفكره كما يعرض آراءه الشخصية.

٥- الأمانة العلمية، وتتطلب من الباحث الدقة في النقل، وعدم التسامح في لفظ أو عبارة، أو حرف واحد مما ينقل، وذلك إذا كان الأمر في مجال الاستشهاد بنص معين، أما إذا كان المراد مجرد عرض رأى أو فكر علم من الأعلام فلا يلزم النقل النصي ويشير فقط إلى المصدر الذي عرف منه الباحث هذا الرأى.

٦- احترام رأى الآخرين، فليس من حق الباحث أن يهون من رأى غيره، ولكن له أن ينقده بالدليل والبرهان في غير تجريح ولا اتهام.

٧- الاهتمام بتوثيق النقل، بذكر المصادر وافية البيانات.

٨- إذا أراد الباحث الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم فى بحث هف ليكن ذلك بإيجاز مفيد، وليكن مقصوراً على غير المشهورين منهم الذي يحتاج القارئ المتوسط التعرف عليهم

٩- الاهتمام بالفهرسة، ولنا حديث مفصل فيما بعد عن المراجع والفهارس بعون الله وحده.

١٠- لابد للباحث أن يكون متمتعاً بالراحة الجسمية، بعيداً عن التوتر والآلام النفسية حاصر العقل والبديهة، مهياً للتفكير السليم.

الوثيقة الرابعة

ملاحظات في تحقيق التراث العربي

للعامة الأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل

أستاذ اللغويات وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة الأسبق

اختياراً د/ عوض إسماعيل

أستاذ اللغويات المتفرغ

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة السابق

سلبيات على طريق تحقيق التراث:

توفر على نشر التراث مؤسسات عدة، قديمة وحديثة، حكومية وشعبية على امتداد العالم الإسلامي بل والعالم الغربي الذي شارك في هذا المجال من خلال المستشرقين دعماً للتراث الإنساني أو لأهداف أخرى يعلمها الله، ونعلم بعضاً منها.

ولأجل هذا لست في حاجة إلى إعادة لأمر وضحته؛ وذلك لأن من مراحل نشر التراث التي بسطت جوانبها تكشف عن المراحل التي مر بها التحقيق العلمي للتراث حتى وصل إلى الصورة التي هو عليها الآن. وجهود القائمين على نشر التراث لا تحتاج إلى دليل أو برهان. لكن هذه الأعمال العظيمة لا تخلو من شوائب نحب أن ننبه إليها حتى لا يقع المعاصرون في شيء مما وقع فيه سابقوهم.

١ - الازدواجية:

في مقدمة هذه السلبيات: الازدواجية في مجال نشر التراث، فقد نجد مخطوطاً واحداً نشرته عدة جهات، بعضها مجرد نشر خال من أصول التحقيق العلمي، وبعضها محقق تحقيقاً واحداً.

ومن هنا نأسى على هذا الجهد الضائع، والمال المهدر؛ إذ لو كان هناك تنسيق صادق أمين لوفنا هذا الجهد لإحياء مخطوط حبيس على رفوف المكتبات هنا وهناك، بل إن بعض الجهات القائمة على هذا الأمر عندها مخطوطات محققة ومعدة ويعوزها المال لإخراجها.

بل إننا بكل أسف نجد هذه الازدواجية في الرسائل الجامعية وفي مجال التحقيق العلمي مما يؤكد ضرورة وجود لون من التلاقي والتنسيق بين الجامعات الإسلامية توفيراً للجهد، ولكي نسير في هذا المضمار خطوات إلى الأمام.

ولعل رابطة الجامعات الإسلامية، ومقرها الرباط تنهض بهذا العبء الهام، وأرى أنها بقيادتها مؤهلة لذلك.

قد تسد الدوريات الصادرة عن بعض مؤسسات التحقيق جزءاً من هذه الثغرة لكن حاجتنا إلى تنسيق كامل لاتزال قائمة.

٢ - ما التراث الذي نحياه؟

الإجابة عن هذا السؤال تكشف عن خلل واضح في هذا الصدد. إنه مما ريب فيه أن تراثنا لحق به قدر لا بأس به من الزيف والدخيل الذي يعصف بما فيه من قيم فاضلة، ومبادئ سامية، وهذا الأمر يفرض علينا أن نتخير ما نخرجه للناس وما ننشره فيهم، منه ماهو كفيل باستمرار المسيرة على درب الصحيح، وماسوى ذلك مما لحقه الزيف فهو قطعة شاهدة على جزء من التاريخ، فليظل مكانه مقصوراً على أهل البحث والدرس القادرين على أن يميزوا الخبيث من الطيب.

وإننا لنعجب للمستشرق آرثر جفري لم يجد أمامه كتاباً ينشره من تراثنا إلا كتاب المصاحف للسجستاني، وهو كتاب فيه ما فيه مما يزلزل إيمان المؤمنين بالكتاب العزيز، إن اختيار هذا المخطوط بصفة خاصة إنما يريد الطعن في ديننا وتراثنا من خلال التظاهر بالحرص على نشر تراث المسلمين.

وإذا حدث هذا من المستشرق جفري، فهو أمر غير جديد على هؤلاء. لكن عندما نرى الأزهر الشريف ومجمع البحوث يتصدى لنشر الجامع الكبير للسيوطي، وفيه الكثير من الموضوع والضعيف، فذلك أمر غير مستساغ، أو أن يسهم في فترة من الفترات في نشر كتاب الأخلاق المتبوية للشعراني، وفيه من الزيف مالا يطاق ولا يحتمل، فهذا دليل على وجود خلل في خطة إحياء التراث.

وكذا نرى وزارة الثقافة المصرية تسهم مشكورة في إحياء التراث، ثم تطالعنا بالفتوحات المكية لابن عربي، وفيه نظريته الملحة في وحدة الوجود، فهذا أمر يتطلب وقفة من الغير على التراث. لابد أن نفكر أولاً: ما التراث الذي ينبغي لنا إحياءه؟

٣ - أدعياء التحقيق:

إن التحقيق العلمي عمل مجيد، وجهد مشكور متى التزم المحقق الدرب الصحيح، وراعى الأصول، والتزم بالقواعد، وبذل الجهد من أجل إخراج النص صحيحاً مستقيماً، وثقت نقوله وخرجت فيه الآيات والأحاديث، وضبط الغريب.

أما أن يخرج النص كثير التصحيفات والتحريفات، والأخطاء، تفسر الكلمة الواضحة وتترك الغامضة، والغريبة، تضبط الكلمات البينة، وتترك المشتبهة، فذلك لون من العبث لا يمكن أن نسميه تحقيقاً.

وبكل أسف نجد هؤلاء يكتبون أسماؤهم بحروف بارزة على الغلاف (تحقيق فلان) والمؤلف القديم الذي بذل العرق والجهد، وأكد الفكر يكتب اسمه بحروف صغيرة تحت العنوان؟ إنه لون من العدوان على جهود الآخرين.

٤ - احتجاز المخطوطات النفيسة:

بعض ذوي الكفاية من أهل التحقيق يحتجزون مخطوطات نفيسة ذات قيمة على أساس أنهم سيقومون بتحقيقها، ثم يدركهم الملل فلا تخرج منه جزءاً أو جزءين، ثم تقصر بها النفقة فتعجز عن إخراج بقية الأجزاء.

٥ - خروج بعض المطبوعات باسم التحقيق:

وهي مجرد نشر لا تتوافر فيه أصول التحقيق مما يعد جناية على هذا العمل العلمي.

من توصيات لجنة تحقيق التراث المنعقدة في بغداد :

عقدت هذه اللجنة في بغداد في المدة من (٦-١٥ رجب: ١٤٠٠هـ — ٢٠-٢٩ مايو ١٩٨٠) بإشراف معهد المخطوطات العربية، التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية.

وقد شارك في الندوة التي عقدتها اللجنة عدد من الأعلام من خبراء التراث، وأصحاب الدراية بالتحقيق، نذكر منهم:

د. شكري فيصل عضو المجمع السوري، والأستاذ محمد بهجة الأثري، عضو المجمع العراقي، والدكتور فؤاد سيزكين أستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا الغربية، والدكتور أحمد سليم سعيدان عميد كلية العلوم - القدس، وعضو مجمع اللغة العربية الأردني وبعد مناقشة البحوث المقدمة انتهت اللجنة إلى إرساء القواعد التالية:

- ١- أن يكون تحقيق التراث في أيد أمينة قادرة عليه، فلا يقم نفسه فيه من لم تكتمل أدواته اللغوية والعلمية والفنية.
- ٢- أن يبنى التحقيق على مناهج منظمة وألويات مرتبة.
- ٣- أن تخضع أعمال حديثي العهد بالتحقيق للتدقيق والمراجعة على أن يتحمل الأستاذ المراجع التبعة العلمية في ذلك كاملة.
- أن تصرف عناية خاصة للتراث العلمي استجابة للحاجة الحضارية الراهنة، وتحقيقاً للتوازن بين التراثين: العلمي والأدبي
- ٥- أن تنشأ في العواصم العربية فروع لمعهد المخطوطات يودع في كل منها نسخ من الرقوق المصورة المحفوظة في مقر المعهد
- ٦- أقرت اللجنة أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد وأن تراعى هذه المقاصد في وضع المنهج والتوصيات.

الأول: تقديم النص صحيحاً مطابقاً للأصول العلمية.

الثاني: توثيق النص نسبة ومادة.

الثالث: توضيح النص وضبطه.

في ضوء هذه المنطلقات والقواعد اتخذت اللجنة سلسلة من التوصيات وهي:

اختيار المخطوط - معرفة النسخ وجمعها - دراسة النسخ وتعرف مراتبها في الصحة - ضبط النص - التعليق على النص - المقدمة - الفهارس - الطباعة والنشر.

ومن توصياتهم في مجال اختيار المخطوط:

تقديم الأهم على المهم، والأصول على الفروع، وما لم ينشر على ما نشر، والتسامح في تجديد نشر المطبوعات التي لم تراعى القواعد العلمية في تحقيقها، واختيار طوائف من المخطوطات يرى المختصون ترشيحها للتحقيق، والاهتمام بتحقيق التراث العلمي.

وفى مجال معرفة النسخ أوصت اللجنة معهد المخطوطات بعمل فهرس موحد شامل لما دون في فهارس المخطوطات العامة والخاصة، وعلى المعهد أن يتعرف مكان المخطوطات القيمة التي لم تصل إليها يده بعد، وصنع فهارس تفصيلية للمخطوطات تنشر على المؤسسات التراثية في العالم العربي.

وفى الفهارس أوصت بفهرسة كل ما يمكن فهرسته من العمل المحقق. وأوصت في فهرسة الأعلام بأن نبدأ بالأسماء المبدوءة بألفاظ: ابن، ثم ابنة، ثم أبو، ثم أم، ثم بنت، ولا تذكر هنا للصفحات إذا كانت الأسماء معروفة وإنما يحال على الاسم في موضعه من تتالى الحروف الهجائية،

فالعلم: أبو اليمان الكندي يذكر في "أبو اليمان" ويذكر أسمه إلى جانبه زيد بن الحسن، ويحال عليه وتذكر أرقام الصفحات. في حرف الزاي. ثم تبدأ فهرسة الأسماء على ترتيب حروف الهجاء، بدءاً بالهمزة الممدودة مثل: آدم ونحوه، ثم ما يكون بعد ذلك: الهمزة والباء والألفاظ الى تداخلها الهمزة يراعى في موضعها الحرف الذى توضع عليه الهمزة. وفيما عدا ذلك من الأمور التى ذكرتها سابقاً في قواعد التحقيق أرى أن ما أوصت به اللجنة لا يزيد عما ذكرته فيها من قواعد وأصول.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾

وكان الفراغ من تصنيف هذا المؤلف - والله الحمد والمنة - في تمام الساعة العاشرة من مساء الاثنين، السابع والعشرين من ربيع الأول ١٤٠٩هـ - الموافق السابع من نوفمبر ١٩٨٨م.

المعتز بالله وحده

د. السيد رزق الطويل

الوثيقة الخامسة

أَيْنَ الْخَلَلُ؟ بقلم محمود توفيق محمد سعد

مِمَّا لَا تَنْقَطِعُ الشَّكْوَى مِنْهُ عِلْمُ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيِّ عَامَّةً وَعِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً، يَشْكُو طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ عُسْرِ تَلْقِيهِ وَالتَّمَيُّزِ فِيهِ، وَيَشْكُو أَسَاتِذَتُهُ مِنْ جُمُودِ حَرَكَةِ تَطَوُّرِهِ وَتَجَدُّدِهِ.

التَّقْيَا الطَّالِبُ وَالِاسْتِاذُ عَلَى أَنَّ تَمَّ مُعْضَلَةٌ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ السُّؤَالِ: أَيْنَ الْخَلَلُ؟ وَمَا سَبَبُهُ؟ وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْإِصْلَاحِ؟ جَلِيٌّ غَيْرُ خَفِيٍّ أَنَّ وَضْعَ الْيَدِ عَلَى مَوْضِعِ الْخَلَلِ، وَالْوَقُوفَ عَلَى سَبَبِهِ سَيُفْضِي مَعَ صِفَاءِ الْقَصْدِ وَفَتْوَةِ الْعَزْمِ وَامْتِلَاكِ الْعِدَّةِ إِلَى الْإِصْلَاحِ. ذَلِكَ مَا تُحَاوِلُ هَذِهِ الْأَسْطُرُ الْقَادِمَةُ الْإِجَابَةَ عَنْهُ. الْبِدَاءُ بِأَمْرِ شَكْوَى طُلَّابِ الْعِلْمِ مِنْ أَنَّهَا الْأَهَمُّ، وَالْمُفْضِي عِلَاجُهَا إِلَى عِلَاجِ شَكْوَى أَسَاتِذَةِ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيِّ.

فَطَرِ الْإِنْسَانَ الْعَرَبِيَّ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِالْكَلِمَةِ الْإِنْسَانِ اسْتِمَاعًا وَتَذَوُّقًا وَقَدْ أَعَانَتْهُ فِطْرَتُهُ الصَّفَاءَ وَدَرَبَتْهُمْ فِي التَّسْمَعِ وَالتَّبَصُّرِ، وَالرَّغْبَةِ فِي مَعْرِفَةِ أَقْدَارِ مَا اسْتَمَعَ، وَمَوَاطِنِ التَّفَاضُلِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَسْبَابِ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، اِكْتَفَى بِأَنْ يَكُونَ سَاعِيًّا لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، لِإِيمَانِهِ أَنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَقْرَانِهِ، كَمَثَلِهِ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَكَلِّمَ فِي هَذَا، فَكُلُّهُمْ عَرَبِيٌّ قَحَّ صَفِيٌّ الْفِطْرَةِ، مَعْصُومٌ مِنَ الْعُجْمَةِ، يَرْقُبُ حَالَ الْأَشْيَاخِ فِي اسْتِمَاعِهِمْ، وَيَرَى عَلَى مَحْيَاهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَنْطَقُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَثَرِ مَا اسْتَمَعُوا

فيهم ، فتعلّم الشَّبِيبةُ من لسانِ حالِ الأَشْيَاحِ. وأعانَ الشَّبِيبةُ على تمكينِ ذلك اقتدارٌ على عقلٍ ما استمعُوا، وعصمته من النسيان ومن التحريف، ومن تداخلِ البيان، فتولّدت فيهم مهارةُ البَصَرِ بخصائصِ بيانِ كلِّ مُبين، يسمع بيانه، فيعرفه وكأنّه أبصرَ مُحياه.

هذه المخادنة للبيانِ العالِيِ بكلِّ ما تحمّله كلمةُ "مُخَادَنَة" من طُولِ صُحبةٍ وصفائها ورعايةِ استحقاقاتها جعلتُ كلاً بصيراً بما يكونُ بهِ البيانُ كلاماً فِعِلاً ، ينتزِعُك ممّا أنتَ فيه، فتصنّعي إليه، وتقدّم رِعايةً حقّه في الإصغاء والتذوق والتبصّر على حق غيره.

ذلك الذي كان من الأسلاف. مخادنة بيانِ عالٍ بلغتُ قداسته في نفوسِ أشياخهم أن اصطفوا بعضه، فعلقوه على الكعبةِ، وكانهم بذلك يرون أنّ هذه التي اصطفيت حقّها أن يُشغل بها الطائف حولَ الكعبةِ ، يستمدّ منها متبصّراً ما حملتُ من جلالِ المعنى وجماله ، وكأنّها صارتُ لديهم كترانيم أهلِ الكتاب بكتبهم في كنيسهم وكنائسهم.

ولك بلّ عليك أن تُحاولَ أن تتصوّر كيف يكون حال قومٍ كان الشعرُ عندهم تقدّيساً، وترتيلاً حول الكعبةِ في مقامِ تقدّيسِ أهلِ الكتاب وترتيلهم كتبهم في معابدهم ، فلو كان ذلك الشعرُ خلاء من الجلال المتفجّر منه الجمال أكان لهم أن يصفطفوا، ويُعلّقوا، وهُم الذين يعلمون علم يقين قداسة "الكعبة" وأنّ الذي رفع من قواعدها إنما هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، وولده إسماعيل - عليهما السّلام - وهُم نسلٌ منه. مثل هذا يُريد كيف كان البيانُ العالِي، ولّا سيّما الشعرُ مكوّناً رئيساً من مكوّنات حضارة ذلك الجيل.

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَكَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُحِيلُ ذَلِكَ الْعِرْفَانَ الْمُسْتَوْتِينَ
أَفْئَدَتِهِمْ إِلَى عِلْمٍ يَدُونُ، وَيُحْفَظُ، وَيُعَلِّمُ. كَالَّذِي فَعَلَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعَاْجِمِ فِي
زَمَانِهِمْ.

ذَلِكَ يُرِيكَ لِمَ لَمْ يَفْعَلِ الْعَرَبُ مَا فَعَلَ الْإِغْرِيْقُ، فَدُونُوا الْأَسْفَارَ فِي
أَصُولِ التَّلَقِّيِّ بَيَانِهِمْ وَتَذَوُّقِهِ. أَيُّ الرَّجَلَيْنِ أَعْلَى مَقَامًا ذَلِكَ الَّذِي مَدَوْنَتُهُ فِي
دَاخِلِهِ أَمْ ذَلِكَ الَّذِي مَدَوْنَتُهُ مِنْ خَارِجِهِ؟ كَانُوا مَنَاجِمَ عِلْمٍ بِالْبَيَانِ تَسْرِي عَلَى
الْأَرْضِ.

قُلْتُ: إِنَّ الْأَشْيَاخَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَتَلَقُّونَ الْكَلِمَةَ الْبَلِيْغَةَ، يَعُونُ فِي
صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا مِنْ حَسَنٍ وَمَا فِيهَا مِنْ دُونِهِ وَيَعْلَمُونَ مَوْضِعَ كُلِّ وَسْبِيْهِ،
وَأَثَرَهُ فِي النَّفْسِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي بَاكِرِ الْأَمْرِ لَمْ يَنْطِقُوا بِمَا وَعْتُهُ الْأَفْئِدَةُ. لَمْ
يَكُنْ زَمَانُهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَامَتِ الْأَسْوَاقَاتُ، وَنَصَبَتِ مَنْصَاتُ
الْمَنَافِرَاتِ وَالْقَضَاءِ الْأَدْبِيَّ فِيهَا، فَبَدَأَ الْإِعْرَابُ اللَّسَانِيَّ عَنْ بَعْضِ
الْمُلْحُوظَاتِ النَّقْدِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي مَدُونَةٍ مَقْرُوءَةٍ. لَا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا
يَطْبِقُونَ صِنَاعَةَ ذَلِكَ، كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُ التَّدْوِينَ، وَمَا تَعْلِيْقُ الْمَعْلَقَاتِ
عِنْدَكَ بِخَفِيٍّ.

حَقًّا لَمْ يَكُنِ الزَّمَانُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَدْوِينَ مِلْحُوظَاتِهِمْ وَنَقْدَاتِهِمْ فِي فَقْهِ
الْبَيَانِ فَقُلُوبُهُمْ صَحَائِفُهُمْ. فَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ فِي الزَّمَانِ نَفْسِهِ أَوْ قَبْلَهُ كَانَ
أَهْلُهُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَدْوِينَ، فَاسْتَجَابُوا لِحَاجَةِ زَمَانِهِمْ، فَلِمَ التَّثْرِيْبُ، وَكُلُّ قَدْ
أَجَابَ حَاجَةَ زَمَانِهِ؟! "لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً" أَصْلُ قَائِمٌ فِي شَخْصِيَّةِ كُلِّ ذِي
مَرْوَةٍ، فَكَيْفَ إِذَا مَا كَانَ حَسِيْبًا نَسِيْبًا؟!.

حَقًّا لَا يَغِيْمُ كَانَتِ الْأَصُولُ الشَّفَاهِيَّةُ لِمَنَاقِدَةٍ مَا يُقَالُ مِنَ الْكَلِمَةِ
الشَّاعِرَةِ صَالِحَةٍ لِأَن تَدُونُ، وَلِأَن تَنْشِئَ مَقَدِّمَاتِ رُؤْيِيَّةٍ نَقْدِيَّةٍ لِلشَّعْرِ، تَنَاطُرُ
مَا كَانَ يُصْنَعُ فِي دِيَارِ الْأَعَاْجِمِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَلَوْ أَنَّكَ شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرَى مَا

بقي لنا من تلك الملحوظات والتعليقات والاختيارات التي جاءت عن أجدادك ثم قُمتَ بتنسيقها في كليّاتٍ، لكان في يمينك ما يُمكن أن يُعدّ أصولاً لرؤية نقدية يُفادُ منها كثيراً. وحقّ تلك علينا - نحنُ الحفدة - جدٌ عظيم، فهو صورة من صور البرِّ بالأسلاف.

ولو أنا تلبّثنا نستفصلُ بواعث الألقاب التي لقبَ بها ثلّة من الشعراء لكان لنا ما يُصورُ الرؤية النقدية لشعر كلِّ ذي لقبٍ هادٍ إلى مذهبه في شعره، والقول بأنّه لقبٌ بسبب بيتٍ قاله الشاعرُ لا يطرّد، فكم من شاعرٍ قال بيتاً فيه كلمة يُمكن أن يلقبَ بها، وما هكذا تؤسّس ألقاب الشعراء. فإنما هي كألقاب العلماء، والزعماء، مفاتيح أعمال جسام. الظنّ الأمثل أن ألقاب الشعراء مفاتيح رؤية نقدية لمذهب الشاعر، لكأن تجعل هاذ حدساً، وأن تسعى إلى نقده أو نقده أو تأصيله وتوطيده ؟.

مضى الزّمان على الذي ذكرتُ قبلُ وأهله ليسوا بحاجةٍ إلى مدونةٍ تستجمع ما جادت به الروى النقدية للكلمة الشاعرة التي هي مَجْمَعُ معالم حضارتهم ، وإن كنا نحنُ الآن بحاجةٍ إلى تلك المدوّنة موثقة محققة مصنّفة، وجاء الإسلامُ وسمعتُ أفندتهم من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - ما أوحاه الله تعالى إليه، فدهشوا، سمعتُ أفندتهم ما لم تكنُ قبلُ قد سمعتُ ، فاعتراهم الدهشُ، وكانوا بين حرجين بالغين:

الأوّل: إقرارُ بإعجاز ما سمعوا والنزول العمليّ على استحقاقات ذلك الإقرار المسجّل لهم جليلٍ حصّافتهم، ونزولهم على سلطانِ الحقِّ، كما تقضي به الرجولةُ والمروءةُ في شرعة النبلاء.

والآخر: الاستكبار استمساكاً بميراثِ الآباء، وإن كان قميئاً نزولاً على دَعْوَى الوفاء بالآباء ، ورفض الإقرار بأنهم كانوا في باطلٍ من الفعل والقول والرؤية.

أمران لا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا، فما كان مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ اخْتَارُوا الْآخَرَ،
وَتَمَالَؤُوا عَلَى أَنْ يَقُومُوا فِي وَجْهِ مَا سَمِعُوا مُجْتَمِعِينَ بَرًّا بِمِيرَاثِ آبَائِهِمْ،
وفاء لهم ،وإن كان مِنْهُمْ مَنْ يَتَوَقَّعُ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ، تحت وَطْأَةِ التَّوَقُّعِ إِلَى
ذَلِكَ الْبَيَانِ الْعَجْزِ الْمُدْهَشِ فَيَتَسَلَّلُ فَرِيدًا فِي جَنَحِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ، فيصْغِي
خَلْسَةً إِلَى ذَلِكَ الْبَيَانِ الْمُبْتَلِسِ الْمُدْهَشِ. صِرَاعٌ نَفْسِيٌّ فَحِيلٌ أَقَامَهُمُ الْقُرْآنُ
فِيهِمْ. وكأنه يَشْنُّ عَلَى بَاطِلِهِمْ فِيهِمْ حَرْبًا ضَرُوسًا، فَأَبْقَاهُمْ مِيدَانِ لَذَلِكَ
الصِّرَاعِ النَّفْسِيِّ، لَا تَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ بَنُومًا، كَذَلِكَ كَانُوا يَعِشُقُونَ الْكَلِمَةَ الْجَمَالَ
وإن كانتُ مِمَّنْ لَا يَحْبُونَ، كَانُوا فِي غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا فِيهَا
مِنْ جَمَالٍ.

وبقي الأمر على ما كان استغناءً بالمدونة الذهنية على المدونة
الكتابية، حتَّى دَخَلَ غَيْرُ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللَّهِ الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا ، فكانتُ
حَاجَةً إِلَى تَدْوِينِ مَا كَانَ يُحْمَلُ شِفَاهَةً مِثْلَمَا كَانَ أَوْلَئِكَ الْأَعَاجِمُ بِحَاجَةٍ إِلَى
تَدْوِينِ مَا يَعَصِمُ أَلْسِنَتَهُمْ مِنْ لَحْنٍ يَحِيلُ مُرَادَاتِهِمْ إِلَى غَيْرِهَا، فيفْسُدُ
التَّوَاصُلُ وبفساده تفسدُ الْحَيَاةُ . ومن ثَمَّ نَشَأَ التَّدْوِينُ الْكِتَابِيُّ فِي هَذَا الْعِلْمِ
الَّذِي هُوَ بِمِثَابَةِ "الْإِقْلِيد" الْأَعْظَمُ لِفَتْحِ خَزَائِنِ أَسْرَارِ كُلِّ بَيَانٍ عَلَى الْقَدْرِ
جَلِيلِ الْفَعْلِ، فكان كِتَابُ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنِّي التَّمِيمِيِّ وَلاَهُ (١١٢-)

٢١٠هـ)، وقد سماه "مجاز القرآن" وهو عنوانٌ كَاشَفٌ عَنْ رِسَالَتِهِ، وهو
أَقْدَمُ مَا أَعْرِفُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي اتَّخَذَتْ عُنْوَانَهَا مِمَّا سَيَصِيرُ مُصْطَلَحًا بِلَاغِيًّا
وَسِعِيًّا عَمِيقًا قَائِمًا فِي جُمُورَةِ الْبَيَانِ، وإن كان مفهومه بعد ليس مطابقًا له
مفهومه عند أبي عبيدة. ما كان أبو عبيدة مريدًا بالـ"مجاز" غير طريق
الإبانة عَنْ الْمَعْنَى، أي أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ الْعِبَارَةُ مُجَازٌ بِهَا إِلَى مَعْنَى كَذَا.
كان كِتَابُ "المجاز" لأبي عبيدة هو أقدم ما أعرف من الأسفار التي
خلصت للنظر البلاغي ،و خصصت لتبيين منهج الإبانة عن المعاني

وتمكينها في الأفئدة لمن تكن فطرته قادرة على أن تغنيه ومن كان بلسانهم
علينا لم يكن مفتقراً إلى أن يبين له ما استمع من القرآن، وإعجاز القرآن
ليس في أنه أتى بما لم تعرف العرب من طرق الإعراب.

إعجازه في استعماله في سياقات لا تعرفها العرب، وجعلها تحمل
مضامين لا تعرفها العرب لتقصير في علمها، وفي اتساع المعاني التي
تحملها تلك الطرق، فكلماً زدتها تبصراً زادتك تفجراً بالمعاني أنهاراً
تدهشك ، وكلماً أردت الهدى في شيء من أمور آخرتك وصلاح دنياك
زاداً لآخرتك وجدت فوق ما كنت تطلب بل فوق ما يمكن أن تتخيل أن
يكون القرآن جنة المسلم في الدنيا . جعل الله - سبحانه وبحمده - فيه من
المعاني ما لم تسمع أذن، ولا فقه قلب ولا خطر عليه شيء منها حين يسمع
غيره. ومن أدخل نفسه جنة الله تعالى في الدنيا: "القرآن"، أدخله الله تعالى
جنّته في الآخرة، ﴿ جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ (النبأ: ٣٦)، ﴿ فَأُؤْوَى إِلَى
الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا ﴾
(الكهف: ١٦). ومضت من بعد الأسفار ترفد تلك الفطر الأعجمية أو الفطر
العربية التي مستها العجمة من طول مخالطة.

من هذا يتبين لك أن السبيل إلى علاج شكاية طلاب العلم ما علينا إلا
أن نقيم أنفسنا في سياق الأجداد وموقفنا من الإصغاء إلى الكلمة الشاعرة،
ومخادنتها، ومحاورتها تدوقاً وتبصراً.

هذا يضع في أعناق من ابتلوا ، فكانوا للشبيبة معلّمهم ذلك العلم.
عليهم أن يأخذوهم بذلك الذي ذكر شيخنا، فإن لم يفعلوا، فقد خانوا الرسالة.
إذا ما أمكن أن نأخذ ذلك بقوة وعزيمة وإصرار، فإن أولئك الشبيبة من
بعد حين سيكونون هم الأساتذة والأشياخ ، وحين إذن تتمحق شكوى
الأشياخ التي إليها أشرت قبل، وكان بيننا أن الطريق إلى تجديد علم البلاغة

العربيّ وتطوره غداً مُعبداً، وكان الحفاظ على نعتِه بأنّه عربيٌّ صِدقاً لا يخدشُه الواقع المشهود، وأنا لسنا بحاجةٍ بتّةٍ إلى أن نسترفِد مِن غيرنا، لعوزنا وعجزنا ، ولتبقى علاقتنا بما جاءت به الأممُ غيرنا مِن قبيلِ العرفان بما عند الآخرين، لا من قبيلِ الحاجةِ إلى ما عندهم، ولا يؤنُّ لنا بأخذه إلّا من بعد أن يُمسي رجيحاً، كما هو القائم اليومَ فينا. ليس عسيراً علينا إنْ أخلصنا القصدَ وامتلكنا الإرادة والأدوات أن نكونَ لهم مرجعاً يستمدُّون منا، فقد كنا كذلك يوماً.

وكتبه محمود توفيق محمد سعد

القاهر: مدينة الشروق

العاشر من ربيع الأول ١٤٤٣هـ

الوثيقة السادسة

فريضة علاقة الباحث البلاغي بأسفار البلاغيين والمفسرين

أ.د. محمود توفيق محمد سعد

ليسَ البحثُ العلميُّ عمودُ أمرِهِ حشدُ معلوماتٍ موثَّقةٍ من المصادر العلمية المعتمدة، وتنسيقُها في مباحثٍ وفصولٍ وأبوابٍ، كلًّا. قد يكونُ هذا عملاً علميًّا، يفاذُ منه تنقيفٌ يُنشرُ في الناسِ، لكنَّه لا يمتُّ إلى البحثِ العلميِّ بصلَّةٍ وثيقةٍ.

البحثُ العلميُّ عمودُهُ أمورٌ عدة:

- الاجتهادُ الرَّشيدُ الفَتِيُّ في كشفِ حقيقةٍ علميةٍ غائبةٍ أو غائمةٍ في ما يقومُ الباحثُ للبحثِ فيه.
- أو حلُّ مُعضلةٍ في قضيةٍ ذاتِ أثرٍ في حركة الحياة.
- أو إجابةٍ عن أسئلةٍ شائكةٍ في أمرٍ من أمورِ العلمِ الذي يعمل فيه وله.
- أو العمل على الارتقاء بما هو ظنُّ إلى أن يكون حقيقةً بالبرهان الصَّحيح الصَّريح.
- أو إحالةٍ ما يُتخذُ حقيقةً - وهو في حقيقته ليس كذلك - إلى الحسبان.

تلك رسالةُ البحثِ العلميِّ، ولا سيَّما ما يكونُ في الجامعات.

وهذا يُوجبُ ألا تكونَ علاقةُ الباحثِ بالمصادرِ علاقةً نقلَ ما فيها من آراءٍ ومناقشاتٍ وتصنيفها، ثمَّ التعليقُ عليها بعباراتٍ هي إلى الثَّثرة أقربُ

منها إلى أن تكون حاملةً ما ينفع، أو تخلص ما نُقِلَ أو الثناء عليه.. ونحو ذلك.

علاقة الباحث العلمي، ولا سيَّما الباحث في «علم البلاغة العربي»، بالمصادر والمراجع المعتمدة علاقة مَنْ يتعلَّم من صانعيها مناهج النظر والتفكير في القضايا، ومناقشة المذاهب والآراء لأهل العلم، ومعرفة مخارج القول ومآلاته، ومعرفة منهاج اختيار الدليل، ومنهاج الاستدلال به في مساق معين، وتبين جهة الاستدلال؛ فقد يكون ظاهرُ الدليل غير أنيس بما يُستدلُّ به عليه، بينما باطنه هو الأنيس بالمساق الذي أُورِدَ فيه، فلطفُ دلالة الدليل على ما يُستدلُّ به يمنح القول قوة؛ لأنه يُؤتَى إلى المراد من غير ما يتوقع أن يُؤتَى منه.

ومثلُ هذا يمكنك أن تتعلَّمه من كتب الأعيان ككتاب «الرَّسالة» للإمام الشافعي؛ فالباحثُ البلاغي إنما يقرأ كتاب «الرَّسالة» من أجل مثل هذا، ومثلُ هذا لا يمتلكه الباحث في أول ممارسته البحث العلمي، قد يحتاج إلى سنين عدداً، ولكن عليه أن يقيم الوصول إليه وامتلاكه نصبَ عينيه؛ فإن الله - تعالى - لا يضيع أجرَ من أحسن عملاً، وهو - سبحانه وتعالى - الهادي إلى سواء السبيل.

الوثيقة السابعة

أركان فريضة البحث العلمي البلاغي في بيان الوحي

في البحوث الجامعية لنيل درجة علمية

أ.د. محمود توفيق محمد سعد

يحرص كثيرٌ من طلاب الدراسات العليا في تخصص «البلاغة» على أن يكون مجال بحثهم البلاغي لنيل درجة علمية جامعية هو «بلاغة بيان الوحي قرآنا وسنة» ولا سيما البيان القرآني وهذا حسنٌ إن كان القصدُ صفيًا، والعزم فتيا، والمهارات والأدوات وفيرة والهمة عليّة لا تقلّ عن طلب وراثته النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - في رسالته النبيلة الجليلة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور بالحكمة والموعظة الحسنة احتسابًا.

وبرغم من ذلك كثيرٌ ممن أشرف على بحوثهم في بلاغة القرآن إنما يصدرون عن أسفار المفسرين ينقلون ما قالوا مع تأليف بين ما ينقل، فتجد الباحث يفرغ من نقلٍ ليدخل بك في نقل آخر، فتجد في الصفحة الواحدة أكثر من أربعة نقول، لا يقل النقل عن سبعة أسطر، ولا تكاد تجد له في الصفحة الواحدة ما يعادل سطرًا أو سطرين لا اضافة فيها.

هذا إن قُبل فيما يعرف بالأعمال العلمية أو الكتب التثقيفية التي تنشر في المكتبات التجارية، فإنه مدحورٌ منبوذ في البحث العلمي.

أول ما يجب على الباحث البلاغي هو أن يصدر عن أسفار البلاغيين، وأن يعتمد إلى البيان القرآني في الموضوع الذي اتخذه لبحثه وهو متضلع عقلاً

وفهمًا بما قالَ أعيان الأئمة من علماء البلاغة ، فيسلك في سيره طريقين الأول تفضي إلى الآخر:

الأول يقرأ البيان القرآني في ضوء ما جاء به الأعيان ، وهذه الطريقة تمهيدية ، وحدها لا تغني فتيلًا في مجال البحث العلمي، فهي أشبه بالمفتاح إلى التي بعدها

الآخر يقرأ مقالات الأعيان في ضوء البيان القرآني ، وبذلك يمكنه أن يخدم علم البلاغة من خلال عرض مذاهب العلماء وآرائهم على ما في البيان القرآن، فيكونُ البيانُ القرآني محتكما إليه، وليس محكومًا عليه بمقالات اعيان علماء البلاغة.

عليّ أن أتخذ أولاً مقالات عبد القاهر أو السكاكي أو ابن الأثير ونحوهم مفتاحاً لفهم البيان القرآني في القضية التي أنا بصدد البحث فيها ، ثم إذا ما فقهتُ البيان القرآني ، عمدتُ فقرأتُ ما قال عبدُ القاهر و أقرانه في ضوء البيان القرآن فيستحيل البيان القرآني حكماً على رؤية عبد القاهر ورأيه

هذا هو الأصل ، فتكون أسفار الأعيان من أئمة البلاغيين مصادر رئيسة في التطلع العلمي عقلاً وفهمًا ، ثم تكون من بعد أسفار المفسرين مرجعاً يهود إليه الباحث حين يشكل أمر أو حين يراد التوثق من حسن الفهم، أما أن أصدر عن أسفار المفسرين ثم أسقط بعضاً من أقوال البلاغيين في كلامي ذراً للرماد في العيون، فهذا لا يجعل عملي بحثاً علمياً، ولا يصح أن أمنح به درجة علمية، ولو ملأت الأرض بمثله . على الرغم من صواب ما فيه ، إلا أنه فارغٌ مما هو مطلوبٌ مني لأنال به درجةً علمية ، وعلى هذا حين يقال لي هذا كلامٌ فارغ، فلا يراؤ أنه فارغ من فائدة، بل هو فارغٌ مما هو مطلوبٌ مني باحثاً علمياً.

وأمر بالغ الأهمية جدًا ،وأنا باحثًا علميًا أُبين عن المعنى القرآني في الآية التي نحن بصدد البحث العلمي في بلاغتها عليّ ألا أعرض إلا للمعنى الذي أستنبط من « النظم» في سياقهِ ، وكل معنى لم أستنبطه من «النظم» لا يجوز لي باحثًا علميًا أن أتعرضُ له في البحث العلمي البلاغي، وإن كان دقيقًا ولطيفًا وطريفًا ، فكثير من المعاني في الأحكام العقديّة والفقهية التي يذكرها العلماء الفقهاء في أسفارهم لا يصح للباحث البلاغي أن يعرض لها في بحثه العلمي البلاغي.

نعم تصلح في الأعمال العلمية التي لا يطلب بها درجة علمية ، وفي الكتب التثقيفية التي تنشر في العامة.

عليّ أن أحسنَ أولًا الفرق الرئيس بين « البحث العلمي» والعمل العلمي أو الكتاب الثقافي وإن كان في بلاغة القرآن أيضًا، فليس كل ما كتب في بلاغة القرآن يكون بحثًا علميًا.

كتاب « الرجال قوامون على النساء» الذي نشرته في الناس ليس بحثًا علميًا، ولو قدم لي مثله لأجيز صاحبه في درجة علمية أو ترقية إلى درجة علمية، لما أجزته لأنني لم أكتبه بحثًا علميًا، كتبتة عملاً علميًا أُنقّف به الناس وأعالج به قضية اجتماعية.

فللبحث العلمي استحقاقات لا يلزم أن تكون في الأعمال العلمية والكتب. ونحن نترخص في الأعمال العلمية والكتب ، بما لايجوز البتة أن يترخص فيها من البحث العلمي.

فأول ما يجب على الباحث أن يغلم ما هو من أركان البحث العلمي وفرائضه التي النقص في أي سيبطل العمل، ثم يعلم سننه ونوافله.

البحث العلمي عبادة، وهو كالصلاة له أركان، وله سنن وله نوافل. ومن أقدم عليه، وهو لا يعلم ذلك، فلن يفضي به الحال إلا إلى ما لا تحمد عقباه.

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) اللهم إني قد بلغت
اللهم فاشهد.

وكتبه محمود توفيق محمد سعد

فرائض في البحث البلاغي لبيان النبوة
حق على الباحث البلاغي في بيان النبوة أن يوفي ما يأتي حقه

(١) استقراء الخواص التركيبية والدلالية في نص كل حديث وتحليلها وتأويلها تأويلاً ينشأ من مكنونها ويهدي إلى ما
سواء تقول اليه معاً ويعني بيان وجه دلالة كل تركيب
على المعنى وما يتولد منه ورصد ما يتولد من المعنى الأم من
المعاني وأسبابها ~~وأسبابها~~ وذلك المعنى الأم

(٢) مقارنة ما في الرواية الأم بالروايات الأخرى مع بيان مناهات الانقاف
والإفراق وأثر ذلك في تنوع المعاني السامية وأثرها في تعلقها
الرصيد

(٣) الاستقاء ببيان المعنى الأعراب بكل خاصّة تركيبية أدلالية ومدى
المطابقة بين ما اقضي وما عليه البيان ، والأحكام الإعرابية
الممكنة ووجه تفضيل ما جاء البيان بها عليها

(٤) إبراز سمات بيان النبوة الأسلوبية وسمات المعاني التي يصورها
ومعارفها

(٥) إبراز سمات الأخلاق النبوية في هذا الحديث والتركيز على محور
قوله الله تعالى هـ وأنت على خلق عظيم « وحضور آفة سورة النبوة
في الحديث

(٦) إبراز فرعوية الحديث إلى القرآن ، وما كانه الحديث تبيناً له من معاني
القرآن وما بين البيّات وأثر الجمع بينها في التلقين

(٧) رصد المعجم الكلي لبيان النبوة في الحديث وموقعه من المعجم
الكلي في القرآن وما بين المدلول المعنوي ~~للمعنى~~ والسمات للكلمة
في وجودها القرآني والسوي ، وأثر جمال الألوصاف في مدلول
القرآني وأثر جمال النبوة والحمدية في مدلول النبوي

هذه سبع لا ترضى في الوفاء بحقوق

محمود توفيق

الوثيقة الثامنة

ورقة عمل

في شأن تطوير برنامج الدراسات العليا في جامعة الأزهر

بقلم أ.د. محمود توفيق محمد سعد

تحرص كل دولة على تعدد وتنوع الجامعات فيها ، بناءً على تنوع رسالة كل جامعة فيها بحيث لا تكون واحدة بمُغْنِيَةٍ عَنِ الأُخْرَى في رسالتها الرئيسة في بناء المواطن الفاعل في تطور الأمة وتحقيق عزتها ومنعتها وريادتها .
والأزهر الشريف جامعاً وجامعة مؤسسة علمية تعليمية تربوية دعوية لتخرج النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ مِنَ الظلمات كُلِّ الظلمات الحسية والمعنوية إلى النور^(١) ذلك جوهر رسالته المنوطة به ، والتي لا يستقيم بتة أن يفعل أو يتشأغل عن الوفاء بحق كل جانب من الجوانب الأربعة لهذه الرسالة السامية.
وعلى قدر سمو الرسالة يكون سمو المكلف بها والقائم بإتقان الوفاء بها.
وجامعة الأزهر الشريف أهم عمود من عمود الأزهر الأربعة ذات خصوصية لا تشاركها جامعة أخرى في كل جانب من جوانب «الأزهر» المتعددة المتنوعة السابق ذكرها.

وليس من شك في أن قيمة أي جامعة ليس في عدد كلياتها أو طلابها أو علمائها إنما تتمثل قيمتها في ستة أشياء:

- في خصوصية رسالتها الإنسانية .
- في خصوصية طلابها
- وفي خصوصية علمائها ورسالتهم المجتمعية.
- وفي خصوصية برنامجها العلمي والثقافي.

^(١) تنظر المادة السبعة من الباب الثاني الفصل الأول: المقومات الاجتماعية .ص:٨

□ وفي خصوصية بحوثها العلمية المرتبطة بحاجة المجتمع الخاص والمجتمع الإنساني العام .

□ وفي خصوصية قيادتها على مستوى الأقسام العلمية ، والكليات والجامعة كلها.

وقياس الجودة فيها ينبغي أن ينظر في هذه المجالات الستة الرئيسة، لا كما نراه الآن من مقاييس الاعتماد والجودة التي لا تُعلي من خصوصية التميز العلمي المتمثل في طلابها وفي بحوث علمائها وفي جودة برنامجها العلمي والتعليمي والتربوي و المهاري وعلاقته بتطور المجتمع وصناعة الإنسان الصالح المصلح لنفسه وقومه وأمته مما يكاد يجعله اعتماداً أقرب إلى الشكلية منه إلى الجوهر ، فلا تكاد ترى فرقاً بين طلاب كلية معتمدة وطلاب كلية نظيرتها لما تعتمد. ولعل أكثر ما تتجلى قيمة الجامعة في مرحلة «الدراسات العليا» بمستوياتها " الماجستير ، والدكتوراة" ثم في بحوث الترقية وغيرها لعلمائها. وتختلف أي جامعة إنما يبدأ من هذه المرحلة : مرحلة الدراسات العليا ، وبحوث الترقية لعلمائها.

وهذه الورقة تنظر في الخلل القائم في برنامج الدراسات العليا ، لا سيما في برنامج العلوم الإسلامية والعربية ، فالخلل فيها ظاهر للعيان ، وتقترح إصلاحاً لهذا الخلل .

ولهذا الخلل دواع عدة في كل مجال من المجالات الستة الآنف ذكرها .
أولاً:

الخلل المائل في الغفلة عن الوفاء بالرسالة المنوطة بتفرد هذه الجامعة عن سائر الجامعات المصرية والعربية.

لا ريب أن للأزهر جامعاً وجامعة خصوصية في ما هو منوط به . لم تكن جامعة الأزهر «فسطاط الخير» لتخرج موظفين يديرون دولا العمل اليومي في الدولة ، كلاً ، قد يكون هذا جوهر رسالة الجامعات الأخر ، أما جامعة الأزهر «فسطاط الخير» فرسالتها منوطة بها صناعة الإنسان الصالح المصلح المخرج نفسه وقومه وأمته والناس أجمعين من الظلمات كل الظلمات إلى النور.

وما أسنده الدستور المصري إلى الأزهر جامعاً وجامعة يؤكد خصوصية هذه الجامعة، بيد أن هذه الخصوصية لا تكاد تراها متحققة على الوجه الذي يجب أن

يكون في عظم مكونات الجامعة وبخاصة في طلاب العلم فيها وهذا لا يحتاج إلى تفصيل وبرهان ، بل ولا يستطيع نصيف أن ينكره فإنه أوضح من الشمس في كبد سماننا .

القائمون على شأن هذه الجامعة قياديون وإداريون وعلماء وطلاب علم غير قليل منهم لا يستحضر في وعيه هذه الرسالة، فضلاً عن أن يقوم بالوفاء بها. وعلى الرغم من أن ما يُسمى ببرناج "الاعتماد الأكاديمي والجودة" يؤكد التذكير بهذه الرسالة في كل جانب من جوانب الحياة الجامعية إلا أننا لا نكاد نراها إلا في لوحات على الجدران ،ولا نرى أثرها في الواقع العلمي لغير قليل من علماء الجامعة وطلابها.

هذا الخلل يحتاج إلى مشرط جراح حكيم خربت حمزة . واستعمال المشرط حينئذ استعمالاً حكيماً حزيناً هو ضرب من ضروب الزلّفى إلى الله تعالى.

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا، وَمَنْ يَكُ رَاحِمًا * فليقس أحيانا على من يرحم
وتحقيق الإصلاح في هذا الباب يترتب عليه تحقق الإصلاح في سائر الأبواب
الأخر التي طغى عليها الخلل كم سابين بعد ، وهي مسؤولية لا يحملها رئيس
الجامعة ونوابه وعمداء الكليات وحدهم ، ولكن كلاً منهم أمير في قومه. والناس
على دين أمرائهم.

ثانياً

الخلل القائم في الطلاب المستهدفين ببرنامج الدراسات العليا.

رسالة الدراسات العليا في جامعة الأزهر تخريج علماء صناعتهم بناء العقول العلمية ، وتحقيق مقومات المواطن الصالح المصلح من أبناء هذا المجتمع المصري خاصة والأمة الإسلامية عامة ، واتسامه بالأخلاق الإسلامية العلية، لتحقيق تماسك البنية المجتمعية للدولة والأمة ونشر السلام الاجتماعي بين أبنائها على تنوع معتقداتهم الدينية، ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وتوجهاتهم السياسية. ذلك هو جوهر رسالة الدراسات العليا فيها خاصة.

وهو حق مكين على جامعة الأزهر أن تقوم به، ولا سيما الكليات القائمة برسالة تعليم علوم الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، وعلوم العربية. ثم سائر الكليات

الأخرى التي يجب أن تكون لها خصوصيةً تمتاز بها عن نظائرها في الجامعات الأخرى في الدولة ، فلا يكون الطبيب المتخرج فيها كمثلته الطبيب المتخرج في غيرها ، وكذلك المهندس والكيميائي والاقتصادي، فالأصل في كل أولئك أن يكون مع ذلك داعية بلسان حاله ومقاله إلى الحسنَى في كل شيء .

وإذا ما كان هذا واجبها ورسالتها وهو مستمدٌ مما كلف به الدستور المصري الأزهر جامعاً وجامعة فإنه من الأمانة في أداء هذه الرسالة أن يكون من له حق الانتساب إلى هذه الجامعة في المرحلة الجامعية الأولى ذا خصوصية في المستوى العلمي والمعرفي والثقافي ، وفي القيم الأخلاقية المجتمعية ، وهذا يستوجب ألا يكون كل من يحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية بشقيها الأدبي والعلمي له حق الانتساب إلى هذه الجامعة ما لم تكن متحققة فيه القدرات التي تُعينه على أن يتحمل تحقيق رسالة الجامعة ، كما نص عليها الدستور المصري.

فأول الخلل وأفدحه هو السماح لكل حاصل على الثانوية الأزهرية الالتحاق بإحدى كليات الجامعة. بل لا بد أن تكون هنالك معايير موضوعية علمية وثقافية وأخلاقية ومهارية حازمة لاختيار من يصلح لالتحاق بهذه الجامعة. فليس الاعتداد بكثرة أعداد الطلاب ، بل بأقذارهم الأخلاقية والعقلية والعلمية والمهارية.

وكذلك يجب أن تكون الجامعة شريكاً رئيساً لقطاع المعاهد الأزهرية في إجراء اختبارات الشهادة الثانية الأزهرية بقسميها الأدبي والعلمي، ولا سيما في وضع الأسئلة وتقييمها. أو على الأقل فيمن يتجاوز مجموع درجاتهم (٩٠%) لأن منتج هذه الاختبارات ينتقل إلى الجامعة ، فتكون مسؤولة عنه ، فحقها أن تشارك في اختبارهم وتقييمهم واختيارهم.

والذي يؤكد لك أن هنالك خللاً ظاهراً فادحاً في اختبارات الشهادة الثانوية الأزهرية أن الطلاب الذين يحصلون على أكثر من تسعين من المئة (٩٠%) من المجموع الكلي ، ويلتحقون بكليات القمة ، ولا سيما الطب والصيدلة والهندسة والعلوم واللغات والترجمة يعجزون عن استكمال السير في هذه الكليات مما تضطر الجامعة إلى تحويلهم إلى كلية نظرية من كليات الأصول والشرعية واللغة العربية والدراسات الإسلامية عند رسوبهم مرتين في العام الأول ، وهو ما يعرف بـ«تحويل المسار العلمي» وكأن هذه الكليات : كليات القرآن والسنة وعلومهما :

الأصول والشريعة واللغة العربية والدراسات الإسلامية أشبه بصندوق القمامة ،
تلقى فيه نفايات كليات القمة: «الطب» وأخواتها المشار إليها قبل.
هذه ظاهرة لا يمكن أن ينكرها أحد ، وهي تستوجب مسؤولية على الجامعة من
جهة وعلى قطاع المعاهد الأزهرية من آخر .

ولو أن الجامعة رصدت مسيرة الطلاب الذين التحقوا بكليات القمة «الطب»
وأخواتها منذ عشرة أعوام أو أكثر ، ورصدت من لم يستطع أن يستكمل مسيرته
في هذه الكليات ، وتم تغيير مسارهم التعليمي إلى كليات العلوم الإسلامية وعلوم
العربية ، وسعت بعد إلى معرفة المعاهد التي تخرجوا فيها ، وحصلوا منها على
الشهادة الثانوية الأزهرية بمجموع أعلى من (٩٠%) ، ومن كان مسؤولاً عن
إدارة هذه الاختبارات في هذه الأعوام على مستوى المعاهد والإدارات والمناطق
الأزهرية في القطر كله ، ومحاسبتهم الحازمة على تفريطهم في تحمل المسؤولية
، فذلك خيانة كبرى للعلم أولاً وللأزهر ثانياً وللدولة ثالثاً ثم للإسلام رابعاً .

أو تملك الجامعة وقطاع المعاهد الأزهرية الشجاعة الأدبية على أن تتحمل
المسؤولية ، وأن تجري هذا لئلا يرى أن غير قليل من خريجي الثانوية الأزهرية لا
يستحقون الالتحاق بهذه الجامعة ، وأن ما يُصرف عليهم من أموال بيت مال
المسلمين إنما هو ضرب من «التبذير» الذي حذر منه الإسلام. { إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } [الإسراء: ٢٧]

ليس لزاماً أن يكون كل حاصل على الثانوية الأزهرية له مكان في الجامعة ، هذا
ليس عدلاً فأبناء الثانوية العامة لا يتمتعون بهذه الرفاهية المفسدة للعلم والجامعة
والدولة.

العناية بالانتقاء الموضوعي الحازم الطهور من ركنس المجاملات العاطفية
السوءى للطلاب الذي له حق الالتحاق به هذه الجامعة في المرحلة الجامعية
الأولى فريضة محكمة ، والتقصير في القيام عليها أراه خيانة للأمانة المنوطة بنا
، وأقل ما يمكن أن يوصف به هو الظلم العتي للطلاب الذين يستحقون الالتحاق
بهذه الجامعة ، فمشاركة من دونهم في الإنفاق عليهم حرمان لهم من حقوقهم .
وتلك موبقة علينا أن نتطهر منها لنلقى الله تعالى غير خائنين للأمة.

وإذا ما كان هذا في ما يتعلق بطلاب المرحلة الجامعية الأولى ، فاختيار طلاب
الدراسات العليا هو الأحق بحسن الاختيار فليست «الدراسات العليا» ضرورة

لكلّ متخرّج في الجامعة ، إنّما هي لصفوة المتخرجين. ولا سيّما المتخرجين في تخصصات العلوم الإسلامية ، والعربية ، والدولة والأمة ليست بحاجة إلى هذه الأعداد المتكاثرة كلّ عام ، فإعلاء معيار الكمّ على الكيف ياراب عليه فساد مبير. كلّ هذا يفرض علينا أن نضع معايير موضوعيّة حازمة لاختيار الطالب الذي له حقّ الالتحاق بالجامعة في المرحلة الجامعية الأولى «الدراسات العالية» ثمّ المرحلة الجامعة الثانية «الدراسات العليا»

الطريق إلى إصلاح الخلل :

أرى أن نلتزم بأصول وضوابط في اختيار طلاب الدراسات العليا من أهمها :

- أن لا يقبل في مرحلة «الدراسات العليا» إلّا من حصل على تقدير «جيد جداً» تراكمي في مواد التخصّص والقرآن الكريم في كليات العلوم الإسلامية والعربية. ولا يقلّ عن (٧٥%) تراكمي في المجموع العام.
- ألا يقلّ الحضور الفعلي في أثناء الدراسة عن (٨٠%) من الساعات المعتمدة

- أن يجتاز اختبار القبول التحريري والشفهي في مادة التخصّص والقرآن الكريم وأن يحصل في كلّ على (٨٠%) على الأقلّ .
- إعفاء الحاصلين على تقدير «ممتاز مع مرتبة الشرف» في مرحلة «الإجازة العالية: الليسانس» من كلّ المصاريف الدراسية وغيرها ، والسّماح لهم في الإسكان الجامعي. وكذلك الهيئة المعاونة لعضاء هيئة التدريس في كل قسم ، ويحرم من المزايا السابقة من يحصل على تقدير «جيد» فأقلّ في إحدى السنتين التمهيديتين في مرحلة «التخصّص: الماجستير»
- لا يسمح بتسجيل رسالة الماجستير لمن حصل على تقدير «جيد» تراكمي في السنتين التمهيديتين، ويكتفى بمنحه شهادة «دبلوم دراسات عليا في التخصّص» .

- يسمح للطالب الحاصل على تقدير «جيد» فأقلّ بإعادة السنة التأهيلية الثانية في جميع المقرّرات نظير تحمّل التكلفة الحقيقيّة لتدريس المقررات واختبارها في هذا العام . فإن حصل على تقدير «جيد جداً» أدن له بتسجيل رسالة الماجستير

- ❶ ألا يقتصر في احتساب التقدير النهائي لدرجة الماجستير على تقدير الرسالة ، بل يكون التقدير بجمع ما حصل عليه في السنتين التمهيديتين، وما حصل عليه في مناقشة رسالة «التخصص: الماجستير» ، ويكون لكل نسبة (٥٠%) فإن حصل على (٨٠%) في السنتين التمهيديتين، وعلى (٩٠%) في الرسالة يمنح تقدير «جيد جداً» (٨٥%)
- ❷ الطلاب الحاصلون على تقدير «جيد» في مرحلة «الماجستير» لا يسمح لهم بالتسجيل للدرجة الدكتوراة.
- ❸ إلغاء عبارة «مع التوصية بالطبع على نفقة الجامعة» فهي عبارة لا واقع لها.

ثالثاً :

الخلل في اختيار أستاذ الدراسات العليا.

للأستاذ الجامعي عامة خصائص علمية وتربوية وإدارية وأخلاقية ، ولأستاذ الدراسات العليا خاصة سمات وخصائص علمية وتربوية وإدارية وأخلاقية وإصلاحية تعلق عليها.

ومن الجلي الذي لا يخفي أنه ليس كل حاصل على درجة "الأستاذية" في تخصص ما بصالح أن يكون أستاذاً مشاركاً في مرحلة « الدراسات العليا» لما لهذه المرحلة من استحقاقات علمية ومهارية عالية، ولا سيما في صناعة المشاريع العلمية، ومناهج البحث فيها، والتدريب عليها .

ومن البين أنه لا تقتصر مهارات الأستاذ عامة على شرح المقررات للطلاب ، وتقريبها لهم، وفق أصول تربوية للشرح والتقريب. بل لا بد أن يكون في الوقت نفسه متمسماً بالتفوق والتميز في ما يأتي:

- ❶ أن يكون باحثاً متميزاً في بحوثه العلمية في تخصصه ، وأن ينشر عدة بحوث بعد الحصول على درجة الأستاذية .

- ❷ أن تكون بعض بحوثه مختصة بمنهجية البحث العلمي في التخصص، وفي صناعة المشاريع العلمية، ومناهج تنفيذها، وخططها ، واستحقاقاتها العلمية والمهارية، وأن يكون ذا قدرة على تدريب الباحثين على التميز في إتقان صناعة هذه المشاريع.

- أن يكون متميزاً في تطوير البرامج العلمية والتدريبية في تخصصه ، وأن يكون متسع الثقافة فيما له صلة بتخصصه من العلوم الأخر.
- أن يكون متمسكاً بالتميز في صناعة العقول وتمكين أخلاق الرجال الحسنين. وبالتميز في تقويم البحوث العلمية بإنصافٍ صريح دون مجاملة البتة .
- أن يكون قد مضى على حصوله على الأستاذية سبعة أعوام مع تحقق الشروط السابقة فيه. أنجز خلالها بحثاً في تخصصه متميزة موضوعاً ومنهجاً ، ومنشورة في أهل العلم.
- أن تُنشى الجامعة درجة «أستاذ الدراسات العليا» أو «أستاذ كرسي» لمن مضى على حصوله الأستاذية سبعة أعوام مع تحقق الشروط السابقة فيه مع تقويم نتاجه العلمي الذي صنعه بعد الأستاذية .
- أن تخصص له درجة "مالية" عالية تتلاءم مع مقامه العلمي ، ومسؤولياته العلمية والتربوية، والتدريبية.
- أن تخصص له وسيلة انتقال إلى الجامعة تليق به أو يُمنح بدلاً نقدياً مناسباً .
- أن تكون له الحصانة الأمنية المعادلة لحصانة «القضاة» و«أعضاء المجالس النيابية» ليتحقق له «الأمن الفكري» في عمله ، فإن تجاوز تكون محاسبته من قبل الإمام الأكبر : شيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف وحدهم . وهم وحدهم الذين يُقررون إحالته إلى القضاء أو يوقعون عليه العقوبة المناسبة لما اقترف.

رابعاً :

الخلل في برامج الدراسات العليا والمقررات الدراسية والاختبارات في مرحلة تمهيدي الماجستير، وبرامج إعداد البحوث العلمية لمرحلة «التخصص: الماجستير» و لمرحلة «العالمية : الدكتوراة» كل من شارك في التدريس في برنامج السنتين التمهيديتين في مرحلة « التخصص: الماجستير» في كليات العلوم الإسلامية واللغة العربية يدرك جيداً أن الموضوعات المقررة على طلاب هذه المرحلة هي التي سبق أن درسها في المرحلة الثانوية

الأزهرية ، والمرحلة الجامعية الأولى، ولا جديد في متن العلم، وكل ما يضاف إنما هو التوسع النظري في مدارسة القضايا والمسائل توسعاً أفقياً لا رأسياً ، فما زلنا في البلاغة - وهو تخصصي العلمي - ندرس لهم أحوال مكونات الجملة ، والفصل والوصل هو هو ، مع التوسع في شرح وتحليل الأمثلة والشواهد الجزئية التي سبق لهم دراستها . ولا تعدو أن تكون المدارسة نظرية تعتمد على التلقين والاجترار ، والخلاء من التحليل النصي لهذه الأساليب في البيان العلمي المعجز: الكتاب والسنة ، وفي البيان العالي الإبداعي: الشعر والنثر الأدبي والعلمي معا.

معالم تقويم الخلل :

الخروج من ذلك علينا تحقيق مايتي:

- أن يشتمل البرنامج على الاستفادة من العلوم الأخر التي تساعد على إثراء وتطوير البحث في التخصص، فطلاب تخصص «البلاغة» مثلا لا بد من أن تكون من مقومات برنامج تعلمهم وتعليمهم علوم كعلم النحو، وأصول اللغة وأصول الفقه ، وعلم العقيدة الإسلامية ، وليس علم الكلام الفلسفي ، وكعلم المنطق الحديث ، وليس علم المنطق الأرسطي، وعلم الجمال ، والفنون الجميلة ، وعلم الإيقاع ، وعلم الألوان وتأثيراتها النفسية وعلم النفس وعلم الاجتماع ...
- كل هذه العلوم إذا لم تكن جزءاً من التكوين العقلي والنفسي لطلاب «علم البلاغة العربي» فلن تفضي دراسته لأسفار البلاغيين إلى ما هو المرجو أن يكون . ولن يتجاوز أي طالب اقتصر على هذه الأسفار مستوى حمل المعرفة واجترارها، وهذا ما لم تنشأ له الجامعات البتة .
- أن نتطهر من منهج التلقين والاجترار ، والحركة الأفقية في مدارسة المسائل، وأن نتطهر من عزل العلوم بعضها عن بعض، فالدراسات البيئية هي أنفع في هذه المرحلة كما أن نظام التعلم الذاتي والتشاركي تحت إشراف أستاذ المقرر هو السبيل الأمجد الأحمد ، وألا تكون هنالك مصادر أو مراجع معينة ، بل هناك موضوعات وقضايا ومسائل على الطالب أن يستوعبها في كل المصادر والمراجع التي يمكن الوصول إليها ، والطالب هو الذي يصنع لنفسه كتابه في كل موضوع .

الخلل في الاختبارات التحريرية والشفهية في تخصص العلوم الإسلامية والعربية :

أما الخلل في الاختبارات والتقويم في نهاية العام الدراسي ، فيتمثل في أن جُلَّ الأسئلة أو كلها أسئلة نظرية يُحيط بالجواب عنها مَنْ كان حافظاً لما في أسفار أهل العلم ، بل مَنْ كان حافظاً ما سبق له دراسته في المرحلة الجامعية، وإن لم يكن فاهماً ما حفظ ، وقلَّ أن يكون عيارُ القدرة على التفكير والموازنة والتقويم والتعبير مُكوّناً من مكونات الأسئلة.

إصلاح الخلل:

أرى أن نسلّك لأصلاح الخلل في الاختبارات أموراً منها:

● أن تكون أسئلة كلّ مقررٍ على ثلاث مستويات :
الأول: مقدار (٦٠%) منها على مستوى يتيح للطلاب الجاد الحصول على تقدير «جيد»

● أن يكون سؤالاً منها على الأقلَّ يعرض مشكلة علمية يطلب من الطالب اقتراح سبيل أو أكثر لحلها.

● وأن تكون الأسئلة في الاختبار مركزة على ما أضافه الطالب لمقالات العلماء شرحاً وتحليلاً وتقويماً ، وتأصيلاً واقتراح سبل تطوير القول في القضية أو المسألة أو المذهب والرأي ، وليس اجتراحاً لما هو مرقون في الأسفار من قرون أو في الكتب المستحدثة.

● أن تشكل في كلّ عام في كل تخصص لجنة علمية لوضع أسئلة كلّ مقررٍ يكون الأستاذ المحاضر واحداً منها. ولا يتكرّر اشتراك أستاذ فيها في عامين متتاليين وأن تكون الأسئلة موحدة في التخصص على مستوى الجامعة كلها ، وأن يكون تقويمها في مكان واحد (تقويم مركزي ، وكنترول مركزي)

●●●●●●

والخلل في بحوث درجة «التخصص: الماجستير» و«العالمية: الدكتوراة» يتمثل في أمور منها :

● التكرار والاستنساخ والتقاطع مع بحوثٍ آخر.
● التشارد ، فبحوث كلّ تخصص لا يكاد يجمّعها هدفٌ ومغزى

- ❶ غلبة الرؤية التجزئية على الرؤية الكلية المركبة التي تبصر علاقات القضية بقضايا آخر سواء في التخصص نفسه أو في تخصصات أخرى قريبة أو بعيدة منه.
- ❷ غلبة البحوث المطبقة للقواعد والقوانين المقررة سالفًا ، وكأنها دراسات تطبيقية لما تقرر قبل على ما استحدث بعد، وليست بحوثًا كاشفة عن أصول وضوابط وقواعد ونظريات مستحدثة. على الرغم من أن علوم الإسلام وعلوم العربية في نشأتها وتطورها علومٌ استقرائية سياقية وليست علومًا نمطية معيارية تسقط القواعد السالفة على أحوال مستحدثة. فمن سبل تطوير وتجديد العلوم الإسلامية والعربية إعادة قراءة ما سبقت قراءته من الأسفار والنصوص بمنهاج موضوعي يُعلي الرؤية الكلية التي تعنى باستخلاص الأصول والضوابط الكلية على النظرة الجزئية التي تُعنى بالأحكام الجزئية.
- ❸ خلّوها من القيمة العلمية ، فغير قليل منها لا يُجيب عن تساؤل منهجي ، ولا يكشف حقيقة، ولا يقررها ، ولا يحررها ، ولا يقربها . ولا يحل مشكلة ، وغير قليل منها لا يلتزم منهجًا علميًا في معالجة قضايا الموضوع ومسائله، ومذاهب العلماء وآرائهم.
- ❹ خلّوها من القيمة المجتمعية ، فالأصل أن جميع البحوث في الدراسات الإنسانية، ومنها علوم الإسلام واللسان مهمتها الرئيسة خدمة المجتمع وصناعة الإنسان الصالح المصلح للحياة كونا وإنسانا، فبهذا الإنسان تكون حضارة الأمة وعزتها.
- ❺ الإشراف الشكلي لكثرة ما يكلف به الأستاذ من الإشراف مما يعيقه عن متابعة الباحث في قراءاته ، وتحليلاته واستنباطاته ، والأصل في المشرف أن يشارك الباحث في قراءة مصادر البحث الذي يشرف عليه دون أن يكشف للباحث عما اهتدى هو إليه ، ولكنه يرشده إلى إعادة النظر وتقويمه والطريق الأمثل للقراءة ، وقراءة مصدر قبل مصدر ذلك أن المشرف الأصل فيه أن يكون عديلاً للباحث إحاطة بقضايا الموضوع ومسائله ومذاهب العلماء وآرائهم ، وما استحدث فيه من مصادر ومراجع ، وما

أجري فيه من بحوث ومؤتمرات ونحو ذلك ، فلو لم يكن شريكاً في القراءة والتفكير والتقويم ، لما تيسر له أن يشرف عليه إشرافاً يرضي الله تعالى .
والشرط ألا يهب المشرف الباحث كلمة واحدة مما أنتجه هو ، وللمشرف من بعد إجازة مجلس الجامعة البحث أن ينشر ما توصل هو إليه في قراءاته في هذا الموضوع دون أن يقتبس مما توصل إليه الباحث بنفسه حرصاً على حق الباحث العلمي، وحرصاً على حصانة المشرف من دعوى الاقتباس أو الاستنساخ أو الاستلاب .

● المناقشات الهزلية والهزلية أيضاً لغير قليل من البحوث ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن ينكر أنه كاد يكون ظاهرة لا تخفى . وكذلك مجاملة المناقش ، ولا سيما المناقش الخارجي للمشرف والقسم كيما يكون مرغوباً فيه ، فيسند إليه مناقشات عدة ، وهذا نلاحظه من تكرار اشتراك بعض من الأساتذة في مناقشات بعض التخصصات في بعض الكليات وحرمان أقران لهم من الاشتراك في المناقشة .

والطريق إلى إصلاح الخلل أراه يتمثل في ما يأتي:

● أن يكون لكل تخصص على مستوى الجامعة مشروع علمي يتولى الأساتذة المختصون اختياره وتفصيله إلى موضوعات ، ووضع الخطوط العريضة لخطة كل موضوع ، والمنهج العلمي لمعالجة قضايا كل موضوع ومسائله .
● أن يكون من شروط الترقية إلى درجة أستاذ في كل تخصص أن يقدم مشوعاً علمياً يتضمن عدة قضايا ام تبحث قبل بحثاً علمياً جاداً كل قضية تصلح أن تكون موضوع بحث لنيل الماجستير أو الدكتوراة ، وأن يحرر المنهاج العلمي لبحث قضايا هذا المشروع ، ويضع الخطوط العريضة لخطة البحث ، وأن يشير إلى أهمية الكلية للبحث في قضايا هذا المشروع ، ومشكلاتها . وأن يناقش هذا المشروع مناقشة جادة من قبل اللجنة العلمية المنوط بها الترقيات لدرجة أستاذ ويمكن للجنة أن تستعين بمن تراه أقرب إلى المشروع من غير أعضاء اللجنة من داخل الجامعة أو خارجها . فإذا أجاز المشروع أدرج في بنك المشروعات لذلك التخصص .

- أن يختار كلّ باحث مرشداً يُعينه على اختيار موضوع البحث من موضوعات مشروع التخصص على مستوى الجامعة ، ويتعاون معه في الوعي بأهداف البحث في الموضوع المختار وأهميته ، والدراسات السابقة فيه ، وما ينبغي أن يتميز به البحث المراد صناعته فيه ، واختيار المنهج العلمي الذي تعالج به القضايا والمسائل، ومزايا هذا المنهج.
- أن تكون هنالك لجنة علمية موسّعة على مستوى الجامعة لكلّ تخصص تتولّى مناقشة الباحث عند اختياره موضوعاً من المشروع العام ، وما يريد الباحث أن يصنعه فيه ، ويكون ذلك بصحبة مرشده ، وبحسب أن يكون المرشد بعد إجازة تسجيل الموضوع أحد مشرفي البحث إن كانت اللوائح تسمح بذلك ، فغير قليل من الباحثين عند ما يريد تسجيل موضوع لبحث الماجستير أو الدكتوراة لا يكاد يعرف شيئاً مهماً عن الموضوع ، ولا عما كتبه فيه من قبل ، ولا يعرف ما يريد أن يبحث فيه ، وما المشكلة الرئيسة فيه ، وما مدى الحاجة إلى حلها، وطريقة حلها.
- أن يُعتمد الإرشاد الأكاديمي الجاد للباحثين في مرحاتي الماجستير والدكتوراه متطلباً من متطلبات الترقية لدرجة أستاذ مساعد أو أستاذ
- ان يكون المشرف الرئيس للبحث وثيق الصلة العلمية والمهاريّة بموضوع البحث من خلال رسالته لنيل الماجستير والدكتوراة وبحوثه للترقية وغيرها ، فلا يستقيم أن يكون أستاذ جَلّ دراساته وبحوثه في القرآن أو الشعر الجاهلي ثم يشرف على بحث موضوعه في "أدبية النص المسرحي" . أو يكون أستاذ لا يجيد لغة أجنبية ، ويشرف على بحث في «الأدب المقارن»
- أن تجرى حلقة نقاش «سيمينار» كلّ فصل دراسي بعد مرور عام على الأكثر من التسجيل لكلّ باحث في مرحلة «الماجستير» و«الدكتوراة» في القسم والكلية التي ينتمي إليها ، ويسجل كلّ سيمينار صوتاً وصورة ، وحبذا مشاركة أساتذة من تخصصات أخرى لها علاقة بتخصص الباحث ويُرفع إلى نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا تقرير كتابي محكم عن وقائع هذا «السيمينار» يوقع من رئيس القسم وأستاذين أو أستاذ وأستاذ مساعد إذا لم يكن استاذان في القسم ، ومن تخلف من الباحثين مرتين عن هذا يطوى قيده إلا لعذر يقبله مجلس الجامعة .

- ❶ إذا طلب الباحث مدًا لمدة البحث المقرر وجب إلزامه بدفع تكلفة المدّ تقدّر بعدد أشهر المد ، وألا يتجاوز المدّ عامًا فوق المدّة المقررة في مرحلة الماجستير ، وعامين لمرحلة الدكتوراة. ومن تجاوز ذلك يطوى قيده إلا لعذر مقبول من رئيس القسم ومجلس الكلية ، ونائب رئيس الجامعة للدراسات العليا ثم من مجلس الجامعة.
- ❷ أن يكون أحد المناقشين من ذوي الاختصاص من خارج الجامعة ، وليس من خارج الكلية، وأن يلزم أعضاء القسم الذي ينتمي إليه الطالب في كليته بحضور المناقشة كاملةً إلا لعذر مقبول من رئيس القسم .
- ❸ أن يكون حضور أعضاء القسم المناقشات التي تجري للباحثين في تخصص القسم متطلبًا للترقية إلى درجة أستاذ مساعد أو أستاذ ، أو أستاذ كرسي.
- ❹ أن يكون لكلّ عضو في القسم أن يرفع تقريرًا عن وقائع المناقشة إلى عميد الكلية ، وإلى نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا، وأن يناقش ذلك ويتحقق من صحة ما جاء فيه من قبل التصديق على منح الدرجة
- ❺ إذا ثبت أن باحثًا قد استلّب من رسالة ما داخل الجامعة أو خارجها أو من كتاب أو مقالٍ علميٍّ دون توثيقٍ لأسباب علميةٍ مقبولة من المشرف ولجنة المناقشة فعلى الجامعة سحب الدرجة منه من بعد اعتمادها من مجلس الجامعة ، ولو مضى على المنح عدة سنواتٍ ، فهذه جريمة لا تسقط بالتقادم.
- ❻ أن تودع نسخة من البحث في مكتبة الكلية التي ينتمي إليها الباحث ، في الوقت الذي تشكّل فيه لجنة المناقشة ، وتسلم لمكتبة الكلية في وقت تسليم المناقشين ، وتكون النسخة الورقية متاحة لكلّ عضو من أعضاء التخصّص في الجامعة لقراءتها قبل المناقشة ضمانًا لجدية المناقشة ، ومنح الدرجة بالتقدير المناسب حماية للباحث من جهة ، وللعلم من أخرى ، ثم تسحب النسخة بعد إجازة البحث ويدع مكانها نسخة أجرى عليها الباحث ما طلبته اللجنة من تقويم واستكمال.

- ❶ أن يقتصر حضور المناقشات على أهل العلم من الطلاب والهيئات المعاونة ، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، والجامعات الأخرى فقط وأن يمنع منعاً باتاً إعداد الموائد والوجبات والمشروبات في أثناء المناقشة وبعدها.
- ❷ نشر تسجيل المناقشة صوتاً وصورة على موقع الجامعة الالكتروني ؛ ليتمكن من شاء من الاستفادة منها وأن تكون متاحة للمشاهدة والتنزيل بعد الاعتماد من مجلس الجامعة.

ذلك بعض مما أقترحه للنهوض بالدراسات العليا في الجامعة في مجال الدراسات الإسلامية والعربية في كليات «أصول الدين والشريعة واللغة والعربية والدراسات الإسلامية، والدعوة، والأقسام المناظرة لها، أما الكليات العملية كالطب والهندسة والعلوم ... فلها أهلها هم الأقدر على أن يقول كلمة في إصلاح الدراسات العليا بها .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، والحمد لله رب العالمين
وكتبه

محمود توفيق محمد سعد

الأستاذ غير المتفرغ في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف

القاهرة: مدينة الشروق

الأربعاء: ٢٠/٤/١٤٤٦هـ

الوثيقة التاسعة

مذكرة حول

أوضاع الدراسات العليا في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر

أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري

نكتب هذه المذكرة وكلنا أسف وأسى لما آلت إليه أوضاع الدراسات العليا في الجامعة العريقة منذ سنوات حتى آلت في الوقت الحال إلى ما لا تحمد عقباه من التدهور المتفاقم تحت أسماع وأبصار جمهرة علماء هذا الصرح العريق، حتى لنحسب أن ثمة أمراً لا نعلمه يحول دون تدارك الأمر.

وأخشى أن يكون هذا الأمر الذي "لا نعلمه" هو الاستجابة للدعوات التي تهون من شأن "العلوم الإنسانية" بدعوى أنها لم تعد لها ضرورة في العالم المتقدم ولا في سوق العمل، وحاشا للأزهر الشريف وجامعته أن يتجاوب مع هذه الصيحات المدمرة لمستقبل البشرية، ولنا عودة لتنفيذ هذه المقولة إن كانت هي ما يخفى وراء هذا التدهور في التعاطي مع "العلوم الإنسانية" التي نجد أنفسنا مضطرين لتحديد مفهومها ومجالاتها، ولعل هذا يستحق مذكرة منفصلة حتى لا نقطع سياق المطلوب من مذكرتنا هذه أو نشوش عليه.

وفيما يلي وصف للحال الذي نعانیه ويعانیه أزهرنا العريق وطلابه :

- لا يخفى أن وجود دراسات عليا في أية مؤسسة علمية مدعاة فخر لهذه المؤسسة ، وهذا أمر يدركه أولو الألباب على مستوى العالم أجمع، وهذا ما كان عليه الأزهر الشريف من قديم ؛ إذ كان يخرج لأمة الإسلام من أدناها إلى أقصاها مئات العلماء في كل عام بعد قضاء أعوام من الدرس الجاد في رحابه و صحنه وأروقته التي يقصدها طلاب العلم حتى يعودوا إلى بلادهم ليكونوا منارات هادية إلى روح الدين الحنيف ، ويكونوا محل الإجلال والتقدير حيثما حلوا لمجرد أنهم أزهيون، ولسنا في حاجة إلى الإشارة إلى مئات الأسر التي لُقِّبَتْ وما زالت تلقب بلقب "الأزهري" في كثير من بلاد المسلمين.

- لما أنشئت الكليات الأصلية (أصول الدين والشريعة واللغة العربية) استمر هذا النهج المحمود فتخرج فيها من يحصلون على "الإجازة العالية" (العالمية الصغرى)، ثم "تخصص المادة"، ويكفل ذلك بتخريج من يحمل مرتبة "العالمية من درجة أستاذ".

- ثم جاء قانون تطوير الأزهر ليمنح هذه الشهادات ألقابا تعادل ما تمنحه أرقى جامعات العالم (ولم يضاف إلينا جديدا اللهم إلا المعادلة الشكلية لمسيرة الأوضاع) ، (علما بأن خريجي الأزهر قبل كل ذلك كانوا يبتعثون إلى أصقاع الأرض ليعلموا وليطلبوا العلم أيضا دون حاجة إلى معادلة شهادات وما إلى ذلك).

- ولما انتشرت الكليات في الأقاليم تلبية للزيادة السكانية والتوسع العمراني وثبتت أقدامها علميا ودعويا صارت منارات لا تقل قيمة عن الأمهات العريقة فتطلعت إلى القيام بدور كالذي كان يقوم به الجامع الأحمدى في طنطا من دور في تخريج الأكفاء من العلماء تحت راية

الأزهر الشريف؛ فمُنحت حق إنشاء أقسام للدراسات العليا بها في سائر التخصصات ، ونهضت بهذا الدور على نحو مرضي، وخففت عن الكليات الأمهات كثيراً من الأعباء، وكذلك الطلاب الذين صار يأتيتهم العلم من أيسر سبيل وبأقل مؤنة، وذلك بالرغم مما تعرضت له من شائعات ومحاولات تشويه.

- ولما صدر قرار بإنشاء كلية للدراسات العليا اشترأت الأعناق إليها بكل الترحاب، أملا في أن تكون واسطة العقد التي تقصدها النخب المنمازة للترود بما فوق ما يمنح من شهادات تؤهلهم لأعلى المراتب العلمية ولتكون مركزا علميا عالميا ينهض بما قد يعسر على غيره تقديمه للباحثين، ودون أدنى تعارض مع ما تنهض به الكليات الأصلية من دور سبقت الإشارة إليه.

- ومن أسف أن إنشاء هذا الصرح قد تعثر لسنوات تخللتها بعض الأحداث، فتفتقت قرائح بعض ذوي الهمم من المسؤولين عن فكرة توحيد امتحانات السنوات التمهيديّة لمرحلة التخصص لتعقد مركزيا في القاهرة، ولا يخفى حجم المعاناة التي تعرض لها الدارسون في السنوات التي جرى فيها هذا الأمر، وتعرض معهم أساتذتهم !.

- ثم أعلن عن افتتاح كلية الدراسات العليا ، فلم تضيف جديداً سوى نقل مقر الدراسة من الدّراسة إلى مدينة نصر في مبان تفتقر إلى كثير من المقومات التي يستحق صرح بهذا القدر أن تتوافر له، واستمرت المعاناة !.

- وتحت ضغط الشكاوى المبررة تقرر أن تكون الدراسة في ثلاثة أقاليم، وكذا بعض الامتحانات، وبعض آخر مركزي، فاستمرت المعاناة !.

- وفي أخريات العام المنصرم ٢٠٢٢/٢٠٢١، ولسبب غير معلوم، تقرر إغلاق مقر الدراسة في كلية الدراسات العليا والمقرين الإقليميين، والعودة بالدراسة إلى الأمهات بالدراسة، وذلك قبل أيام من نهاية الدراسة!.

- وعلى مدار شهور الصيف وما بقي من عام ٢٠٢٢ استمر التخطيط واللغط حول ما يؤول إليه مصير الدراسات العليا، وحل العام الدراسي الحالي ٢٠٢٢/٢٠٢٣، ولم يعلن عن بدء الدراسة في موعدها، وأخيرا تقرر بدؤها في أوائل ديسمبر ٢٠٢٢ في مقارّ كليات القاهرة، وبعد اضطراب شديد في جداول الدراسة امتثلنا وتوجهنا إلى المقارّ المعلنة لنجدها خاوية لا حس فيها ولا إنس، اللهم إلا من طالب وافد أو طالب قاهري أو طالبة (ولم يحضر أمام كاتب هذه المذكرة سوى طالب عراقي وآخر جامبيّ ومصري واحد، وقد أوشك العام ٢٢ / ٢٠٢٣ على الانصرام)، وكان هذا المتوقع بعد كل هذا الاضطراب مجهول الأسباب، لنا على الأقل !

- ولم يتوقف الاضطراب بحيث يمكننا أن نقرر أن ما تمكنا من أدائه من المحاضرات حضوريا أو بالتواصل مع الطلاب عبر مواقع الشبكات لا يزيد عن نصف المتوقع.

- كل هذا فضلا عما وقع من مشكلات يصعب التغلب عليها على مدار السنين لخمس عشرة بسبب تعدد القائمين بتدريس المقرر الواحد على الرغم من توحيد المقررات وتوحيد الامتحانات، ومن مشكلات اغتراب الطلاب و"الطالبات" وغير ذلك مما حذرنا منه منذ بدء سريان هذا النظام الذي يفرغ مرحلة الدراسات العليا من مضمونها وجوهرها وأهدافها .

- كل هذا أدى إلى فرار الآلاف من خريجي الأزهر للدراسة خارجه بسبب ما يؤسف له من أن الجامعات الأخرى قد فتحت أبوابها لهم لالتحاق

بالدراسات العليا فيها ، كما فتحت أبوابها من قبل لحملة ثانوية الأزهر ، وتحت إغراء نظم الدراسة الحديثة بها وما فيها من تيسير هرب جمهور الخريجين الأزهريين من تعقيدات الدراسة وطول أمدها إلى تلك الجامعات إلا المتمسك بقيم الأزهر أو الطامع في نيل وظيفة فيه وقليل ما هم ، وبهذا خلت أو كادت جامعة الأزهر من أكثر خريجيهها، **وهذا مما يجب أخذه في الاعتبار عند النظر في سبل علاج أوضاع الدراسات العليا المتردية في الجامعة ، وزملاؤنا في الجامعات الأخرى يخبروننا بأعداد من يسجلون عندهم ، وبعض من نقابلهم من خريجينا كذلك .**

- ومما يؤسف له أيضا ، وهو متصل بما سبق ، أن الأزهر وقع ضحية في نصف القرن المنصرم لعملية أشبه ما تكون بما يسميه علماء الأحياء "الانتخاب الطبيعي" وذلك من جراء التحولات الاجتماعية التي ابتليت بها الأمة إثر الغزو الفكري الذي خلفه الاستعمار ، فانقسم المجتمع إلى :

- نخبة عليا توجهت نحو المدارس الأجنبية والدولية .
 - نخبة متوسطة توجهت إلى التعليم الخاص .
 - التعليم "التجريبي" الذي أسسته المؤسسة الحكومية مجاراة للسابق أو منافسة .
 - التعليم العام الذي بقي على حاله وبلغ من التدهور ما لا يخفى .
- (الأدنى)
- التعليم الأزهرى التقليدي لفئة معينة .(نظير السابق ، وهو الذي يغذي الكليات الأصلية).
 - التعليم الأزهرى الخاص، المجارى للتطور الواقع.

■ التعليم الأزهرى "لغات" المنافس لنظيره الأجنبى والدولى.

(وهذان الأخيران لا يقصدهما من يرغب فى الأزهر التقليدى بل من يرغب فى أزهر ما يطلق عليه "كليات القمة")، ومحصلة ذلك أن "الانتخاب" وصل بالتعليم الأزهرى قبل الجامعى إلى أدنى مستوى تعليمى، ولا يبقى بعده إلا القناعة بالأمية والتسرب من التعليم.

- وحسبك ما بعد ذلك من "انتخاب طبيعى" آخر يقع داخل الجامعة بادئا بكليات "القمة" وصولا إلى ما ننزّه قلمنا عن وصفه ، وبه يتبين أن ما يصل إلينا فى أصل بناء الأزهر وأسه هو ما بقى فى "نقيض القمة"، وهو ما يرغب عنه أكثرهم حتى بتنا نجد قاعات الدراسة والامتحانات شبه خالية، وصرنا نعلم الآن أن أصحاب هذه المقاعد الخالية يحتلون مقاعد بعيدة فى جامعات أخرى عامة أو خاصة ، اللهم إلا القليل ممن نذروا أنفسهم للأزهر، وهؤلاء هم من يعانون مما نحن بصده فى هذه المذكرة. وبناء على ما تقدم يمكن إيجاز مشكلات نظام الدراسات العليا فى الكليات الأصلية فيما يلى:

جموده ، طول أمده، كثرة مناهجه ، فرض نظام توحيده، النظرة الدونية لفئة من العلماء لمجرد أنهم ينتسبون إلى كليات الأقاليم.

أما جموده فسببه عدم التفرقة بين دار التعليم ودار العلم، فنظام دار التعليم (المدارس والمعاهد) يعتمد تقديم مادة علمية سابقة التجهيز للتلاميذ بقصد إيقافهم على أساسيات العلوم التى سينتفعون بها فى قابل حياتهم الدراسية والعملية، أما دار العلم فبيدأ دورها بعد انتهاء المرحلة السابقة أو متزامنا مع مراحلها العليا، وهنا يتوارى دور المادة سابقة التجهيز خلف المادة العلمية الحديثة التى توصل إليها العلماء والباحثون من أعضاء هيئة

التدريس وغيرهم ليستوعبها الطلاب وينطلقون منها ليشيدوا صروحا جديدة للعلم .

إن مرحلة الدراسات العليا تستهدف في المقام الأول تقدم العلم والبحث العلمي ولا تستهدف تخريج جيل يحمل شهادات براءة تخفي تحتها خواء لا معنى له .

ولأجل تحقق هذه الغاية التي ترمي إليها الدراسات "العليا" لابد من وضع خطة تستهدف جذب المتحريين على جميع المستويات، ولن يتم ذلك إلا بإعادة النظر في كل عناصر العمل التعليمي والعلمي في الأزهر الشريف من المعاهد إلى الجامعة ، والوعي التام بالمنهج الذي يؤدي إلى تحقق تطور التعليم قبل الجامعي والجامعي والبحث العلمي إجمالاً ، و بخاصة فيما يتعلق بموضوع هذه المذكرة .

وعليه نتقدم باقتراح ما يلي :

١ - اعتماد تقسيم المرحلة التمهيدية للدراسات العليا لتكون سنة واحدة في التخصص ، وأخرى في العالمية أسوة بكثير من الجامعات التي تنافس الأزهر في اجتذاب أبنائه ، بل أسوة بما يجري عليه نظام كثير من كليات الجامعة العلمية ، وكذا كلية الدراسات الإسلامية للوافدين .

٢ - اعتماد العمل بنظام الساعات المعتمدة في المرحلتين ، والذي أرهصت قيادة الجامعة بالإعداد له وقرب العمل به (ومرفق بالمذكرة تصور عام لما يمكن مراعاته عند بناء الخطط الدراسية للتخصصات المختلفة بالكليات الأصلية بالجامعة) .

٣- إفساح المجال للعلماء لنقل ثمار أبحاثهم التي استغرقت زهرة أعمارهم إلى من يدرس على أيديهم من طلاب العلم والباحثين، ولا يتأتى هذا إلا بنقل آخر ما توصل إليه الأساتذة من إنجازات علمية إلى من يقع تحت أيديهم من الباحثين والدارسين، لينطلق هؤلاء للبناء على ما أسسه السابقون، وبهذا تتقدم الأمم وتبنى الحضارات .

٤- عودة الدراسات العليا إلى سائر كليات الجامعة دون تفرقة كما كانت قبل ما سبق من إجراءات أنهكت الباحثين وسببت هجرتهم من الجامعة وأثرت على مستوى البحث العلمي .

٥ - النهوض بكلية الدراسات العليا ودعمها بما يمكنها من القيام بدورها المأمول بالتكامل مع الدراسات العليا في كليات الجامعة على النحو المشار إليه في صدر هذه المذكرة .

من هنا يبدأ رصف طريق إصلاح الخلل الذي أدى إليه تراكم السلبات التي لا يعنينا الغوص وراء أسبابها ولا من فعل ذلك بقدر ما يعنينا إعادة بناء ما تعرض للعطب من مكونات هذا الصرح العظيم . ونأمل أن تتجاوب جميع الهيئات والقيادات مع اقتراحاتنا تلك وسائر الاقتراحات المثيلة في أقرب وقت ، وكلنا ثقة وتفاؤل بتحقيق نهضة الدراسات العليا واسترداد عافيتها على أيديكم والله تعالى ولي التوفيق ،،،،

أ.د. كاظم الظواهري

قسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بالمنوفية

الوثيقة العاشرة

العلوم الإنسانية في عصر العولمة

أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري

ماذا لو خسر البشر العلوم الإنسانية عامة ، وعلوم الدين خاصة ؟!

لسنا في موقف دفاع عن العلوم الإنسانية في مواجهة العلوم العلمية العملية لأنهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة لا غنى لأحدهما عن الآخر، وإنما نحن في حالة دفاع عن الوجود الإنساني والحياة على ظهر هذا الكوكب المبتلى بأعظم التهديدات من جراء سوء توظيف المكتشفات العلمية من قِبل قوى تخلت عن كثير من القيم التي تصون الحياة والسلم على ظهر الأرض، ولننظر ما يهدد الكرة الأرضية بسبب انبعاثات الغازات الضارة بالطبيعة، ورفض أقوى الأمم لكل دعوات الحد من تلك الظاهرة، هذا مجرد مثال على مدى ما يمكن أن يحيق بالبشرية من المهالك إذا لم يكن النمو المتسارع في المنجزات العلمية مصحوبا بما يوجهه ويكبح جماح ما يجنح منه إلى تقديم المصالح الخاصة والأطماع بأنواعها ، وتسلط الأقوى وتوحش رأس المال، وكثير من الشرور التي نعجز عن حصرها في هذا المقام .

ولعل مثالا آخر يُضوئ جانباً لا يقل أهمية عن سابقه ، لأمة من الأمم تكون الأقوى والأكثر سلاحاً وعتاداً وتطوراً تقنيا "تكنولوجيا"، وهي في المقابل الأقل عناية بتقوية الجانب المعنوي وتنمية الروح الوطنية والشعور بالانتماء لدى جنودها، وتوعيتهم بتاريخهم وقضاياهم وسائر ما يجب إعدادهم به، وتضطر لخوض حرب دفاعاً عن أرضها ومصالحها

اعتمادا على سلاح في أيد لا تؤمن بقضية هذا الوطن وهي خائنة القوى غير مستعدة للتضحية والفداء ، فهل تنفعها قوتها وكثرتها وعتادها مع ذلك؟ وماذا لو فر هؤلاء من الميدان وحلت بجيشهم الهزيمة؟! ولو كان المتسبب في هذا في تلك الأوقات العصبية ، وقام بإلغاء سلاح "الشئون المعنوية" أو تهميشه ، ألا يقع تحت طائلة الاتهام بالفت في عضد المدافعين عن الوطن؟ ، فما عقوبة من يثبط العزائم وقت الشدائد والملمات ؟

وما هذا الجرم إلا باب من أبواب لا حصر لها مما يحيق بالأمم من المخاطر التي تترتب على تهميش العلوم الإنسانية في عصر الحضارة المادية والخواء الروحي المدمر للنفس البشرية والحضارة الإنسانية .

إن الذي يقول بأن العلوم الإنسانية لم يعد لها ضرورة في عصرنا وما يليه مصاب بقصر النظر وضعف الإدراك والوعي بما قامت به هذه العلوم من أدوار وجهود خلاقة في النهوض بالإنسان وترقيته من مراتب البدائية والتخلف، والمضي به قدما نحو التحضر والرقى إلى عصرنا وما بعد عصرنا.

إن العلوم الإنسانية هي التي تقود الأمم وهي التي ترعى العقول والمواهب وتنميها وتوسع آفاق الفكر وترقي الخيال (ذلك الخيال الذي قاد العلماء في كل العصور للتوصل إلى المخترعات والاكتشافات) .

العلوم الإنسانية هي الحكمة والفلسفة والمنطق واللغة والأدب والفن والجمال والآثار وعلم الإنسان "الأنثروبولوجي" والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والإعلام والسياسة والاقتصاد والتجارة والإدارة، وأخيرا وفوق كل ذلك علوم الدين التي تعد ضابطا مهيمنا على جل ما سبق إن لم تكن الكل، وهي الجانب الروحي من الإنسان الذي لا يتخلى عنه إلا الأشقياء

المفتونون؛ لأنه إن فعل ذلك صار إلى الضلال والتهيه والضياع، ولن ينفعه بعد ذلك ما وقف حائلا بينه وبين هذا الجانب مهما كان قدره وجاذبيته.

والعلوم الإنسانية هي التي تربي الإنسان وتبعث فيه الضمير وتوجهه إلى الخير وتنثيه عن التوجه نحو الشرور التي تعصف بأمن الإنسان في كل زمان ومكان .

والعلوم الإنسانية هي التي تسن التشريعات لجميع أنواع النشاط البشري وترعاها على جميع المستويات والمعاملات بدءا بالحياة الأسرية وصولا إلى العلاقات الدولية.

والعلوم الإنسانية التي ترعى اللغة القومية التي هي وسيلة التفكير والتواصل والإبداع ، وهي التي تنقل الإنسان من الأمية إلى التعلم، ثم من اللغة الواحدة إلى لغات وثقافات أخرى لم يكن ليعرفها إلا بهذه العلوم.

والعلوم الإنسانية هي التي تنقل خبرات الأمم والحضارات السابقة إلى المعاصرين وتوجههم في ضوءها نحو ما يصلحها وينفعها ويرفعها، وهي التي تقدم سير العظماء في جميع المجالات لتكون قدوات يستهدي بها الناشئة ، وتقدم أيضا قصص البغاة والطغاة وما صاروا إليه من مصائر سوء ليبتعد عنها هذا النشء. ويتعظ بها الكبار .

وحاشا للأزهر الشريف وجامعته أن يستسلم لدعوات التهميش التي تقضي على رسالته مهما كانت التحديات التي يواجهها ، فحتى إن انعكس هذا على سوق العمل كما يقال، فلا شك أن الوعي بأهمية القيم التي تحميها العلوم الإنسانية والمجالات التي تفتحها سوف تستوعب كثيرا ممن يقبلون على دراسة العلوم الإنسانية إيمانا منهم بالرسالة التي تؤديها في خدمة البشرية .

وأحسب أن الأزهر الشريف هو المنوط به - بل هو من صميم رسالته - مهمة تنبيه الأمة والجهات المسؤولة فيها إلى ذلك ، والعمل على تطوير هذه العلوم ووضعها في بؤرة العناية، والعمل على تخريج الكوادر التي ترعاها كل في تخصصه، وتوفير فرص العمل لهم داخل الأزهر وخارجه وتدبير ما يلزم من مخصصات للإنفاق على التعليم والتدريب والتطوير والتحديث في ضوء ما يستجد من المناهج والوسائل العصرية، سائلين الله أن يعين قياداته الرشيدة على ذلك، إنه على ذلك قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

أ.د. كاظم الظواهري

قسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بالمنوفية

الوثيقة الحادية عشرة

مقترح : نظام الساعات المعتمدة في الدراسات العليا

في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر

أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري

أسس النظام:

- الساعات المعتمدة بديل لنظام السنوات الدراسية، ومن أداها تخرج بعد استيفاء الحد الأدنى لمدة الدراسة .
- الدراسة عدد معين من الساعات تؤدي خلال عام دراسي واحد على الأقل لكل من مرحلة التخصص، ومرحلة العالمية، مع إعداد الرسالة .
- تقرير عدد معين من الساعات يناسب التخصص يحصل الطالب بعد أدائه على الدرجة العلمية .
- يمكن للطالب اختيار المواد التي يدرسها من بين المواد المقررة للتخصص .
- المقررات نوعان
- مواد تخصصية إجبارية لابد من تحقق عدد الساعات المعتمدة لها في كل تخصص .

ويلحق به متطلب الجامعة (القرآن الكريم ، لغة أجنبية)

- مواد تكميلية (ثقافية) تحدد بساعات معينة لا تتجاوز ١٠% من مجموع الساعات المقررة، وهي مقررات متعددة يختار الطالب منها ما يناسبه من جهة، وما هو متطلب لموضوع التخصص الدقيق المتمثل في

موضوع الرسالة التي سيحصل بها على الدرجة (تخصص، عالمية)، وهذا الأخير يتم بالاتفاق مع المرشد العلمي (الأكاديمي في لغة الفرنجة) قبل أن يعتمد.

- لكل طالب مرشد من أعضاء هيئة التدريس ، ولكل عضو من الهيئة عدد معين من الطلاب لا يتجاوز ما يسمح به الوقت من عناية بكل طالب.
- يحق للطلاب اختيار عدد أكبر من الساعات في الفصل الدراسي بحيث يوفر من مدة الدراسة، أو يمدّها بحسب إمكانياته ووقت شغله وفراغه (مع مراعاة محترزات سنّاتي بعد).

- يجوز للطلاب تسجيل موضوع الرسالة في أثناء أدائه الساعات المعتمدة دون تعارض، على ألا يحصل على الدرجة إلا بعد أداء كل منهما ، ويجوز له التقدم بالرسالة لطلب مناقشتها بعد مرور المدة المقررة (سنة للتخصص، سنتان للعالمية) ،

- تُعادل الرسالة بعدد من الساعات المعتمدة ولا تحسب بالدرجات أو التقديرات، وقرار لجنة المناقشة يكون :

- قبول الرسالة

- رفضها

- إرجاؤها لإجراء التعديلات التي تطلبها اللجنة

- يحسب التقدير النهائي لكل مقرر بناء على المعدل التراكمي الذي يعادل مجموع الدرجات التي يحصل عليها الدارس مقسوما على عدد الساعات المقررة التي أداها، والنتائج يحسب بنقاط أعلاها (أربع نقاط) وتتدرج نزولا إلى نقطة واحدة لأقل تقدير لدرجة النجاح (تفصيله في اللوائح العامة) .

- وخلال الدراسة يؤخذ التقدير التراكمي في الاعتبار عند تسجيل عدد الساعات للفصل التالي؛ فإن قل يقل عدد الساعات المسموح بتسجيلها، لأنه

دليل على ضعف مقدرة الطالب على التحصيل والعكس بالعكس، مما يمكن الطالب المجتهد من إنهاء دراسته في وقت أقل على ألا يقل عن الحد الأدنى لسنوات الدراسة.

- ومرشد الطالب يقرر له ما يقوم بتسجيله من المقررات في المرحلة الآتية ، ويخطر به قسم القبول والتسجيل لاعتماده بمراعاة :

- ترتب المقررات على بعضها علميا، فلا يسجل مادة إلا بعد الانتهاء مما تترتب عليه من المواد .

- ألا يجاوز عدد الساعات الحد الأقصى، ولا يجاوز ما يسمح به التقدير التراكمي للطالب.

- يسمح للطالب بتسجيل عدد من الساعات في فصل ثالث لتعويض نقص أو لاختصار مدة الدراسة.

- يقرر مجلس الكلية بموافقة الجامعة ساعات إضافية أو إعادة بعض الساعات التي يقترحها مرشد الطالب لرفع تقديره إلى الحد الأدنى للحصول على الدرجة، أو لتعديل تقديره بناء على طلبه.

وبناء على ما تقدم إن لم يكن فائتي منه شيء يمكن لكل قسم علمي بناء خطته الدراسية في ضوء هذه الشروط والمعايير ليتم اقتراح البرنامج المرفوع للجامعة تمهيدا لاتخاذ الإجراءات القانونية للموافقة على تعميم تطبيقه بدءا من العام الدراسي التالي للموافقة، مع مراعاة عدم التأثير على الطلاب المسجلين قبل صدور القرار (أي الأخذ بمرحلة انتقالية).

أ.د. كاظم الظواهري

٢٠٢٣/٥/١١ م

القسم الثاني : الشهادات

جلسة تأبين العلامة : محمود توفيق سعد - رحمه الله تعالى -

وفيه الكلمات الآتية :

- [١] محمود توفيق في سطور : بقلم : أ.د/ محمد كاظم الظواهري.
- [٢] ترك فراغا لا يَمَلأ : بقلم : أ.د/ سلامة جمعة داود.
- [٣] كان فريداً في كل شيء : بقلم أ.د/ سعيد أحمد جمعة.
- [٤] البليغ المؤدب : بقلم : أ.د/ صبري أبو حسين.
- [٥] شيخي كما عرفته : بقلم أ.د/ صبحي إبراهيم المليجي.
- [٦] الزاهد الذي عاش يوم مات : بقلم أ.د/ عادل السيد الفقي.
- [٧] ما للبلاغة تَكَلَّى ..؟؟ : شعر : محمد فتحي نصار.
- [٨] رثاء الدكتور محمود توفيق سعد : شعر : إيثار البنا.

محمود توفيق سعد في سطور

بقلم: أ.د. كاظم الظواهري^(١)

يوما ما جاءتني باحثة من كلية الآداب بتوصية من الراحل العظيم الدكتور محمود عمارة لمساعدتها في بحثها للماجستير في الأدب الإنجليزي، وكان موضوعه متصلا اتصالا وثيقا بدراسة قرآنية أصدرتها قبل ذلك، جاءت طالبة المشورة في نقطة دقيقة في دراستها التي اختارت لها ظاهرة قرآنية تتصل بدراستي وجانب منها لا بد فيه من مشورة بلاغية لا يسد مسدها إلا أخي محمود توفيق رئيس قسم البلاغة بكليتنا، وبعد تردد منه تم الاتفاق على موعد لعقد لقاء بيننا ثلاثتنا حضرت الباحثة محتشمة في هندامها هادئة في مسلكها كله، الأمر الذي لا يدعو الزميل الفاضل وإياي إلى التخرج من الجلوس معا في مكان عام هو كليتنا العامرة، فوجئت به لا يكاد يرفع عينيه عن الأرض إلا إلى السقف أو يخاطبني مواجهة، وطيلة الجلسة لم ينظر إلى الطالبة قط، ولم يكن هذا داعيا للغربة لما أعرفه عنه قديما ما التورع والأدب الجم، ولكن الغريب أنه على الرغم من أنها في حكم ابنتنا وتلميذتنا جلسنا زهاء ثلاث ساعات لم ير وجهها على الرغم من أنه كان يخاطبها ويرشدها ويعلمها، فكان إذا دعت الضرورة للتوجه لها بالخطاب المباشر كان يغمض عينيه بطريقة

(١) أستاذ الأدب والنقد المتفرغ بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر الشريف بالمنوفية.

أثارت تعجبي واستغرابي لا من قدرته على التحكم في نظراته فحسب بل من أننا ننظر إلى بنانتا في الجامعة كما ننظر إلى بنانتا في البيت أو أخواتنا كما قدمتم!.

ذلكم هو محمود توفيق الذي لقينته أول مرة منذ أكثر من ثلاثين عاما عندما انتقلنا إلى كلية اللغة العربية بالمنوفية في أوائل ثمانينيات القرن الماضي ، ومنذ أول لقاء وتعارف كأنما التقت روحانا وترافقتا ذهابا وإيابا إلى الكلية لاسيما بعد أن تجاوزنا في حي الزيتون بالقاهرة وصرنا جارين زميلين ثم صديقين فأخوين ، وكانت لنا صولات وجولات في كثير من المواقف والمجامع والمناقشات التي جمعتنا وحدنا أو مع الأصدقاء و الزملاء في المجالس العلمية وغيرها.

وقبل أن أدلف إلى الحديث عن علمه يستوقفني الحديث عن شيء طرائفه التي كنا نتسلى بها في ترحالنا، وذلك في ثنايا حديثنا عن قيمة الوقت وعن المغبونين في الفراغ، وما كنت أحب سماعه منه عن "فريضة الوقت"، فمن ذلك أنه ذكر لي ذات مرة عرضا أنه يجلس إلى مكتبه من بعد صلاة الفجر إلى أذان الظهر يوميا فكانت مناسبة لشكوى أشغالي الكثيرة التي أثرت على عملي العلمي قائلا : إنني لكثرة همومي العائلية أكاد لا أجد وقتا للجلوس على مكتبي فتعطل الكثير من أعمالي العلمية ، فما كان منه إلا أن رد علي بتلقائية قائلا : ذلك أفضل للعلم ! وقبل أن أفيق من الصدمة – التي لم يسببها ما يظن أنه يوحى أو يُعرض بضغفي العلمي بل من المفاجأة بسرعة البديهة التي أصابت المحز من بعض مشاعري التي أواجه بها سيل المجاملات التي ألتقاها في كل مناسبة بلا داعية تدعو لها، المهم أنه اعتقد لصمتي أنني أسأت الفهم فعاجلني قائلا باسم : إنما أعني أن تستجم لإراحة عقلك لبعض الوقت دفعا للملالة وتستعيد نشاطك

فَتَقَبَّلَ عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ انْقِضَاءِ تِلْكَ الْمَلَالَةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا الْوَاحِدُ مِنْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، فَأَجَبْتَهُ مَدَاعِبًا: بَلْ إِنِّي أَفْضَلُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ الَّذِي يُوحِي بَأَنِّي ضَعِيفٌ عِلْمِيًّا وَلَا أَنْجِزُ شَيْئًا ذَا بَالٍ، فَقَالَ: وَلَكِنِّي لَمْ أَقْصِدْهُ قُلْتُ: أَعْلَمُ وَلَكِنِّي فَهَمْتُهُ هَكَذَا وَوَجَدْتُهُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي تَرَاهُ حَمِيدًا، فَقَالَ: وَكَيْفَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّنِي أَتَّبِنِي قَوْلَ دَعْبِلِ الْخَزَاعِيِّ الَّذِي قَالَهُ لَخُصُومِهِ: إِنَّنِي أَحْمَلُ خَشْبَتِي فَوْقَ كَتْفِي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَبْحَثُ عَنْ يَصْلُبِنِي عَلَيْهَا!، وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْ يَنْقَدْنِي لِيُبَيِّنَ لِي عَيُوبِي وَيَهْدِينِي سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَفْتَقِدُهُ بِسَبَبِ مَا أَسْمَعُهُ مِنَ الْإِطْرَاءِ لِدَرَجَةٍ أَنِّي أَبْحَثُ عَنْ بَعْضٍ مِنْ أَرَى أَوْ أَظُنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ يَضِيقُونَ بِبَعْضِ مَوَاقِفِي أَوْ كِتَابَاتِي وَأَقْوَالِي فَأَخْصَهُمْ قَبْلَ غَيْرِهِمْ بِبَعْضِ مَا أَنْجَزَهُ مِنْ أَعْمَالٍ فَأَقْدِمُهُ لَهُمْ هَدِيَّةً مَشْفُوعَةً بِرَجَاءِ إِدَاءِ الْمَلَاظَظِ وَالتَّعْلِيقَاتِ عَلَيْهَا لِأَنْتَفِعَ بِهَا، وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مُوَاجَهَتِي لَا بِوُجُوهِ النِّقْصِ وَالتَّقْصِيرِ فِيمَا أَنْجَزَهُ فَقَطْ بَلْ فِي كُلِّ مَا يَأْخُذُهُ عَلَى مَنْ مَسَلَكَ!، وَكَانَتْ اسْتِجَابَتُهُ لِذَلِكَ حَاضِرَةً فِيمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ حَوْلَ بَعْضِ كِتَابَاتِي.

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَمْرَ عِنْدَ ذَلِكَ إِذْ صَارَتْ كَلِمَتُهُ هَذِهِ مِنَ الطَّرَائِفِ الَّتِي نَتَذَكَّرُهَا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ.

هَذَا الرَّجُلُ الْحَيِيُّ دَمَتْ الْأَخْلَاقُ الَّذِي لَا أَذْكَرُ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً نَابِيَّةً قَطْ فِي أَيِّ مَوْقِفٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ. بَلْ أَنَّهُ كَانَ دَاعِيَةً مِنْ دَعَاةِ الْفَضِيلَةِ بِكُلِّ مَعَانِيهَا، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَصْدُقُ عَلَيْهِ وَصْفُ أَنَّهُ "حَمَامَةٌ سَلَامٌ" فِي كُلِّ الْأَوْسَاطِ الَّتِي تَحِيطُ بِهِ وَكَمْ مِنَ الْمَرَاتِ كَانَ يَدْخُلُ مُصْلِحًا فِي عِدَدٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَيْنَا فِي الْعَمَلِ وَغَيْرِهِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَبَاعُدِ الدِّيَارِ بِالْأَسْفَارِ أَوْ بُعْدِ الدِّيَارِ لَمْ تَكُنْ تَمْضِي مَنَاسِبَةً أَيًّا كَانَتْ إِلَّا يَكُونُ هُوَ الْمُبَادِرَ

بالاتصال أو الحضور والوقوف بجانبى وبجانب غيرى في الأزمات والملامات.

أما محمود توفيق بين بلاغي عصره فيكفينا مؤننته أستاذ بلاغي العصر الدكتور محمد أبو موسى الذي كان يردد دائما ما بلغني عنه من رفيق دربنا عبده زايد أنه قال: إن كتب محمود توفيق لا تغادر سطح مكتبي، علما بأنه هو أستاذ محمود توفيق الذي أشرف عليه في مرحلة الدراسات العليا، وفي المقابل كان وفاء التلميذ لأستاذه بالقدر ذاته، إذ أخرج عدة دراسات علق بها على دراسات أستاذه، وكلا الخبرين دال على مدى ما كان يكنه كل منهما للآخر من التقدير والمعرفة بالمكانة العلمية التي يتمتع بها كل منهما، وما أحسب إلا أن أبا موسى كان يعدُّ محمود توفيق هو خليفته الأمين على البلاغة العربية من بعده، وأحسب أن حزنه عليه أضعافُ حزنه على أي أحد غيره؛ إنه حزن على العلم الذي يضع بفقد العلماء حزن مضاف إلى حزنه على فقدته لتلميذه، رحمه الله.

وتأكيدا لذلك أنه لما خلا مكان أبي موسى في جامعة أم القرى برغبته في العودة إلى مصر لظروف اقتضت ذلك، فوافقوا شريطة أن يرشح من يرى أنه يخلفه ويملاً مكانه، فرشح لهم محمود توفيق، وألح عليه في الموافقة على السفر فاستجاب له فملاً مكانه وكان حقا له ذلك.

ولما عاد إلى مصر بعد سنين رغبت بعض كليات الجامعة في طلبه للعمل بها لتتشرف بعلمه وتتماز على غيرها به.

وسرعان ما تلاحقت الأحداث التي جعلتنا نشفق عليه في مرحلة ما من العقد المنصرم، ولكن الله كان معه وانقلبت محنته إلى منحة، وعاد أبو موسى ليسطر سطرا جديدا في أمجاد محمود توفيق فما لبث أن أصبح عضوا معه في جماعة كبار العلماء ملء السمع والبصر.

ولا يصح أن ينقضي حديث أبي موسى مع تلميذه وصفيه قبل الإشارة إلى كتابين لمحمود توفيق خلصهما لدراسة بعض إنجازات أستاذه لا كما كان يفعل الشراح القدامى والمحققون المحدثون بل درسهما درس المعجب الذي يريد أن يكشف لطلاب العلم الشريف عن وجوه الإبداع والسبق والعمق في إنجازات شيخ بلاغي العصر خليفة الإمام عبد القاهر الذي يستحق أن يقال عنه إنه هو أول من فهم ووعى وطبق وطور ما أراد عبد القاهر أن يبني عليه من خلفه على هذا العلم الجليل.

أما أولهما فكتاب: "محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم"؛ ولأن موضوع الكتاب لا صلة له بما نحن بصدد من أمر العلمين ؛ سأكتفي منه بما يبرز هذه الصلة ويجليها، وذلكم هو الإهداء الذي صدر به أولى صفحاته لشيخه، وافتتحه بقوله (هذه أوراق رقنتها تحدثا "بنعمت" الله سبحانه وبحمده عليّ أن جعلني ربيب فكرك وبيانك ووليد حزمك الرؤوف وغرس يمينك المبارك الدافق بجليل العطايا.

لم أجد سبيلا أسلكه إلى التحدث بهذه "النعمت" الماجدة الجليلة ، وإلى عظيم شكران الله جل جلاله عليها سوى أن أرقن هذه الأوراق فأنت شيخنا من جليل "نعمت" الله علينا، وكأني أرى أن الله تعالى نخل جيلك الماجد من أهل العلم، فوجدك فريدا فأواك لنا واصطفاك ليفهمك عنه أسراراً من بلاغة كتابه وسنة رسوله ﷺ فأنعم بك علينا فكنت الغيث وكنت "النعمة" التي لا تشغلنا عن المنعم، بل التي تشغلنا بالمنعم) وختم بقوله (.... وأسأله سبحانه وتعالى أن لا يحرمانا من بقائك فينا إماما ... وأسأله أن يرفع بالقرآن العظيم ذكرك بين عباده وأن تنعم عينك وقلبك بعملك المسترضى) وقبل أن أغادر هذا الإهداء بكل ما يحمله من تقدير لشيخ البلاغيين ، وكشف عن وفاء الابن لأبيه والتلميذ لأستاذه

أود أن أشير إلى دققة لغوية فيه لا يدركها إلا العارفون بالقرآن وعلومه ودقائق اللغة والبلاغة، وهي أنه في جميع المواضع التي ذكر فيها "النعمة" أوردتها ببناء مفتوحة غير معقودة وهي من دقائق أساليب القرآن الكريم التي أورد فيها الكلمة مرات بالمربوطة ومرات بالمفتوحة ، وهي مما تعددت فيه الآراء، وقال بعض العلماء ما خلاصته : إنها إذا جاءت بالمربوطة دلت على أقل شيء يطلق عليه نعمة، لأنها محدودة و"مربوطة"، أما رسمها بالتاء المفتوحة فيدل على النعمة الخاصة التي وهبها الله تعالى للمؤمنين من عبادته، وأحسب أن كاتب الإهداء رحمه الله قصد قصدا وعمدا عمدا إلى هذا الرسم لبيان مدى ما يستحقه المهدى إليه من إطراء مع بيان شرف العلم الذي يوصله إلى مراده.

أما الكتاب الثاني فقد أراد به نفي أمر قد يجول بأذهان بعض الدارسين عن شيخه الجليل، وهو أن انكبابه في دراساته على علمي المعاني والبيان وخلوها من كتاب في العلم الثالث لها، وهو علم البديع، هو استصغار لهذا العلم وتهوين من شأنه؛ لاسيما أن هناك من ينظر إلى هذا العلم على أنه فضلة تنصب على المحسنات اللفظية ولا جدوى حقيقية له في النهوض بما ينهض به رفيقاه من تجلية لنفع الأساليب ومعانيها وبيان جمالها، فساق هذا الكتاب دفعا للمظنة كي لا يظن ظان أنه بإهماله إياه يميل إلى تلك الرؤى، وحاشاه، ذلكم هو كتاب: "علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبي موسى"، ولهذا الكتاب قصة وهدف ومفارقة كل منها يمثل قضية فنية أو تاريخية ، ذلك أنه في المبدأ كان مجرد مذكرة دراسية كتبها شيخنا أبو موسى حين انتدب لتدريس علم البديع لطلاب كلية الآداب بالمنوفية في "تسعينيات" القرن الماضي، وعثر عليها أخونا محمود توفيق فقرر بناء على إلحاح طلابه وموافقة شيخه أن يخرجها في صورة كتاب،

وكتب له مقدمة ضافية أعرب فيها عن رأيه ورأي أستاذه في علم البديع، وهو رأي ناقض لكل ما لحق بالبديع من ابتذال على أيدي الشعراء والكتاب، وازدراء ناتج عن ذلك من العلماء لاسيما في مرحلة الضعف التي سبقت عصرنا، وهو ما سبق أن نفاه عنه عدد من العلماء قديما وحديثا منذ عبد القاهر، وفي عصرنا تولى رفيقنا عبد زايد رحمه الله مهمة إعادة الاعتبار لهذا العلم، ولعله كان متأثرا في هذا بما كان يقصه عليّ عن شيخنا أحمد موسى وكتابه "الصبغ البديعي في اللغة العربية" الذي كان يشيد به وبدفاعه عن البديع، ولم يلبث بعد حصوله على العالمية أن أخرج كتابا بعنوان "نظرات في المحسنات البديعية" سنة ١٩٨٢/١٤٠٢، ولم يرض عن صبغته التقليدية فأعاد إخراج كتاب آخر بعنوان "دراسات في علم البديع" سنة ١٩٨٦/١٤٠٦، ومما قاله في صدر هذا الكتاب: "لقد كان الهدف أن أقدم دراسة لمسائل هذا العلم تقوم على غرابة المقولات السابقة فيها ابتداء من ابن المعتز وانتهاء بمدرسة التلخيص، عسى أن تجلوها مما علاها من صداد الجمود الذي أصابها وترتفع بها إلى المكانة التي تستحقها في البلاغة العربية"، وقال آخراً: "والذي أرجوه هو أن تغير هذه الدراسة من المفاهيم السائدة عن علم البديع بصفة عامة، وفي المصطلحات التي عرضنا لها بصفة خاصة، كما أرجو أن تعيد هذه الدراسة لعلم البديع ومصطلحاته الحياة والحركة، والرونق والبهاء".

والآن، وفي ضوء ما تقدم يهمننا أن نتحقق من مسألة تهمة التاريخ وتهمة الدارسين، وهي مثار تساؤل عن رائد هذا التوجه لإعادة الاعتبار لعلم البديع بعد الهجمة الشرسة عليه في مطالع القرن العشرين، أهو عبده زايد أو شيخنا أحمد موسى صاحب "الصبغ البديعي" من قبله، أو شيخنا أبو موسى ومن بعده محمود توفيق، أو غيرهم من قبلهم أو من بعدهم؟، ولا

أدعي أنني قادر على الفصل في هذا الأمر، ولكنني على يقين من أن الشيخ أحمد موسى لم يدرس عبده زايد لأني زميله، ولعله درس محمد أبا موسى، ومحمد أبو موسى لم يدرس عبده أيضا للسبب نفسه، ولكنه أشرف عليه في العالمية بعد مشرفه الأول الشيخ كامل الخولي، كما أشرف أي أبو موسى على محمود توفيق وهنا نجد الأصرة الجامعة بين جميع الأطراف متمثلة في أبي موسى الذي لا نستبعد أن يكون قد درس على الشيخ أحمد موسى أيضا؛ وبهذا يصبح قطب هذه الحلقة المباركة هو محمد أبو موسى وإن سبقه عبده زايد إلى مؤلفه سالف الذكر، وعلى كل فلكل منهم فضل في إعادة الاعتبار لهذا العلم الذي نجده ماثلا في كتابنا الكريم بكثرة لاسيما في المكي منه، والذي يستحيل أن نجد فيه عيبا، أو زخرفا مما يعاب على أساليب عصر الزيف والبهرج، ومن بعده عصر الضعف الذي تسبب فيما ذكرنا من استهانة بالبديع والله أعلم.

أما عن إنجازات محمود توفيق العلمية الأخرى فقد أورد مسردا لها في كتاب له، هو آخر ما أهدانيه قبل وفاته بسنتين، وهو كتاب "الهجرة في طلب العلم" الصادر سنة ٢٠٢٣ ، ولا أدري إن كان هو آخر ما صدر له أو لا، فقد ضم المسرد عناوين لسبع دراسات تحت الطبع ، مسبوقة بثمانية وعشرين كتابا، وثلاثة عشر بحثا منشورا في المجلات العلمية المحكمة في مصر خارجها وبعضها مقدم في المؤتمرات، وبهذا يصبح مجموع ما أخرجته محمود توفيق من الكتب والأبحاث اثنتين وأربعين دراسة على الأقل بعد إضافة الكتاب الذي يحوي هذه القائمة، ولعلها زادت بتمام نشر كل أو بعض ما أشار إلى قرب نشره.

هذا عن حجم ما أنجزه محمود توفيق أما عن تقويم هذه الأعمال فيكفي أنها من حيث الموسوعية شملت علوم البلاغة، وامتدت إلى علوم

القرآن بقوة، وإلى الفقه وأصوله، واللغة والأدب والنقد، ثم إلى قضايا تهم المجتمع برزت فيها نزعته الإصلاحية وإخلاصه لدينه ولغته ووطنه ولالأزهر الشريف وعلمائه.

أما عن القيمة العلمية لهذه الإنجازات فلعل أقسام البلاغة والنقد بالجامعة تنهض بالعمل على الكشف عنها والعمل على الاستفادة منها وإفادة الدارسين بها، لا وفاء لصاحبها فحسب وإنما لعموم الفائدة للأجيال القادمة.

رحم الله أخانا محمود توفيق ، لقد أتعب من جاء بعده .

لقد كنا نتعاون علميا ويستشير بعضنا بعضا، فمن ذلك قضية من أخطر القضايا التي شغلت بالي منذ أنجزت رسالة العالمية هي ما تبين لي في دراستي للمسرح في تلك المرحلة أن البلاغة العربية على الرغم من كل ما تتمتع به من عمق واتساع وأصالة في علومها الثلاثة المعروفة؛ تفتقر إلى علم رابع يجمع شمل ما تفرق في هذه العلوم من دراسة لجزئيات الأساليب، وكنت أعتقد وما زلت أنه لو وعى خلفاء الإمام عبد القاهر دقائق مراده من درس كثير من أبواب البلاغة في كتابيه لاهتدوا إلى هذا العلم الرابع "علم البناء الفني للنص الأدبي"، وأن الغرب الذي يفتقر إلى علوم كعلوم بلاغتنا قد سبقنا بتأسيس هذا العلم بسبب طبيعة فنونهم الأدبية التي تختلف عن فنوننا وانسحب على نقدهم وتحليلهم لأعمال المبدعين، فكانت دعوتي الدائمة إلى المبادرة بتكوين فريق عمل يستخلص جذور المسائل والأبواب المبتوثة في كتب عبد القاهر وغيره من البلاغيين، والاستهداء بالنقد الغربي في تطويرها حتى تعم البلاغة العربية وتسود سائر بلاغات الأمم لاسيما بعد أن ماتت البلاغة في لغات الغرب، وتغدو بلاغتنا مؤهلة

للتعامل مع سائر فنون الأدب لاسيما ما ولد منها في الأدب العربي في العصر الحديث.

وكانت استجابة الدكتور محمود لهذه الفكرة مشجعة لي على المضي قدما فيما أقدر عليه وانتظار ما يسفر عن هذه الدعوة في أوساط البلاغيين. وكنت في ذلك الوقت مشغولا بدراسة الإضمار القصصي في القرآن الكريم، وكنت استرشد به في بعض المسائل المتعلقة بهذه الدراسة فهداني إلى كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي وكان يتحدث عنه حديث العاشق الولهان لما له من لحمة وثيقة بدراسته للعالمية حتى تبعته في ميله إليه غير أنني طلبته وقتها فاستعصى عليّ؛ نظرا لأنه لم يطبع في مصر بل في الهند فلم أتمكن من الحصول عليه إلا بعد سنوات في المملكة العربية السعودية، (طبع بعد ذلك في بيروت) فاكتفيت على ما دعت إليه الحاجة بنسخة دار الكتب لإنجاز كتاب الإضمار الذي صدر سنة ١٤١٠/١٩٩١، وكان ملهما لي ودافعا للمضي قدما في فكرة ضم علم البناء الفني لعلوم البلاغة العربية ليكمل البناء قائما على أربعة أعمدة ولما مضيت في الفكرة مفتقرا إلى العون بسبب غياب رفيقي دربي من البلاغيين خارج البلاد وبعد اللهات بين الرفاق لمحاولة الحصول على مساعدتهم واليأس من الاستجابة وتعدد أسباب النكوص عن ذلك قررت إصدار دراسة تمهد لتلك الدعوة وتهيب بأهل الاختصاص الاستجابة لها؛ فجعلت عنوانها:

"التحدي المنتظر للبلاغيين العرب، علم البناء الفني للنص الأدبي"

وتقدمت بها لمؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق العالمي الأول على مستوى الجامعة سنة ٢٠٠٩، ونجحت في انتزاع توصية بالدعوة للعناية بالفكرة وكنت في ذلك الوقت أحضر لإخراج كتاب "المعادل الموضوعي

في الشعر العربي" الذي يكمل فكرة البناء الفني للقصيدة العربية وينفي عنها الشبهات التي أثارها المستشرقون وأذئابهم، فطورت الدراسة وأعدت إخراجها مع هذا الكتاب في آن، ولعل هذا الاستطراد يبدو طويلا وخارجا عن مناسبة هذه الورقة، غير أنني أؤكد أن الدكتور محمود توفيق لم يغيب عن هذه القضية برأيه ومعاونته وإن غاب في الخارج، ودليل ذلك أنني كنت قد كتبت مقالة بعنوان "الاستعارة غير المفيدة .. مفيدة .. تعليق على الإمام عبد القاهر" ووضعتها في أدراجي لسنين، ولما عدت إلى مصر كان أول ما فكرت فيه هو طلب قراءتها من الدكتور محمود وسلمتها إليه، وأعادها لي بعد أيام عامرة بتعليقات بلغت القمة في الفائدة من جهة والقمة في التشجيع للباحث الفقير بعبارات أعتر بها واستعنت بتوجيهاته في كتابي المعادل والتحدي اللذين صدرا منذ خمسة عشر عاما، وملاحظ أخرى له شغلت عن استدراكها وعن إخراج المقالة حتى أتيح لي إتمامها بعد لأي وإخراجها تحت العنوان السالف الذكر منذ سنتين في حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية.

جزى الله تعالى أخي محمود عني خيرا وعن زملائه البررة وأبنائه من طلبته ، وخلفه في أهله ، وصبرهم على فراقه ، وصبرنا ، وألحقنا به على خير .

آمين

شكر واجب

ولا يفوتني التوجه بالشكر للأستاذ الدكتور سعيد جمعة عميد الكلية على ضيافته وسماحته ودعوتي لإلقاء هذه الكلمة، وأجدها فرصة للتتويه بمأثرة له لا تنسى ولها دلالة مضافة لاجتهاده ووعيه وحرصه على العلم،

وذلك بما نالته دراسته "البناء الفني" من دعمه إبان رئاسته لقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالمنوفية إذ إنه قام بتكريس جلسات المنتدى العلمي للقسم عند صدور الكتاب لدراسة الفكرة ومناقشتها، ولم يكتف بذلك إذ حث عددا من طلاب الدراسات العليا بالقسم على إجراء دراساتهم التطبيقية في البلاغة في ضوء ما دعا إليه ، كما كان يستحث الطلاب دائما على التطلع من علوم البلاغة التي هي مفتاح إعجاز القرآن وعلومه.

سدد الله خطاه وأعانه على ما كلف به من عمل

آمين

ترك فراغاً لا يُمَلأ

بقلم: أ.د/ سلامة جمعة داود^(١)

فقدت الأمة الإسلامية وفقد العلم وفقد الأزهر الشريف، رائداً من رواده ونابغة من النابغين الذين قل ونذر وجودهم.. كان الفقيد رحمه الله بحراً وعلامة عاش كنسمة صيف لم يشعر به أحد، وكان متواضعاً جداً وحينما كان يغمض عينيه كنا نسمع منه درراً.. ودائماً كان يتميز رحمه الله بأنه يطاء أرضاً أنفاً، ويحب المشرب الصافي، وكان يطاء أبواباً ويفتح أبواباً لم يفتحها أحد قبله .

أتاح له تميزه في علم أصول الفقه وتميزه في علم البلاغة أن يجمع بين العلمين في صورة لم نرى لها مثيلاً عند من سبق وتفرد رحمه الله في هذا الباب لأنه قلما نجد من هضم العلمين علم أصول الفقه وعلم البلاغة بهذه الصورة العالية المتقنة، فدخل أصول الفقه وقدم عطاء جديداً بآلات البلاغة وأدواتها.. وجاء بالعلمين ومزجهما وأخرج لنا سبل الاستنباط من الكتاب والسنة، وأخرج لنا دلالة الألفاظ عند الأصوليين، وأخرج لنا هذه المجلدات التي أقول عنها بلا مبالغة: لم يكتب مثلها في زماننا هذا، وهو ما اعترف به كثير من العلماء دون مبالغة في حقه، لأنه أكرمه الله ورحمه ورضي عنه كان نمطاً فريداً من العلماء .

لذلك كان الشيخ محمد أبو موسى رزقه الله العافية والصحة يقول:

(١) من كلمة الأستاذ الدكتور سلامة داود رئيس جامعة الأزهر في تأبين الفقيد الراحل.

لو كان ما عند محمود توفيق سعد هو البلاغة فليس عندنا منها شيء ولو كان ما عندنا هو البلاغة فليس عنده منها شيء.. يقصد أعزه الله انه اختط لنفسه منهجا فريداً وطريقاً قاصداً وأنه لم يكرر غيره ويأبى أن يُكرر غيره رحمه الله.. وهذه الكلمة التي نطق بها شيخنا أبو موسى إنما اقتبسها من كلمة علماء النحو في الروماني حينما قالوا عنه: لو كان النحو هو ما عند الرماني فليس عند علماء النحو منه شيء، ولو كان النحو ما عند النحاة فليس عند الرماني منه شيء .

ولعل الله تعالى أن يخلف الأمة فيه خير خلف، وأن يعوضها فيه خيرا وأن يرزقنا نشر علمه وفكره وإقامة دراسات متميزة حول هذا العطاء السخي فقد قالوا: من ينشر فكر العالم يكون له فضله على العالم حتى ولو تتلمذ عليه، قالوا ذلك في البيهقي بقولهم: ما من أحد إلا وللشافعي عليه فضلا إلا البيهقي فإن له الفضل على الشافعي لنشره مذهبه.

خدم الراحل الجليل الأزهر الشريف جامعاً وجامعة، وكان علمائنا يقول بعضهم في بعض: كان العالم حناناً نأوي إليه، وهي كلمة جليلة استدعيتها من تراثنا الغابر العريق لأقول: إن شيخنا الجليل محمود توفيق سعد، كان حناناً نأوي إليه، فلم يكن مجرد زميل، ولا مجرد أستاذ، ولا مجرد عضو بهيئة التدريس بجامعة الأزهر، بل كان مربياً كريماً، وكنت أجلس إليه وأجد نفسي بين يديه، لأنه كان من أشد المتواضعين مع رفعه مقامه، فقد كان عضواً بهيئة كبار العلماء التي اختارته بعنايه دقيقه، لأن عضوية هيئة كبار العلماء لا ينالها إلا الأثبات، فكنت إذا جلست إليه، فتجد نفسك تجلس الى رجل لا هو من كبار العلماء، ولا هو أستاذ بالجامعة، أنت تجلس إلى عالم فقط تأخذ العلم منه صافياً جلياً واضحاً، ومن العجب أن وسائل التواصل الاجتماعي قد بدأت تظهر كثيراً مما أخفاه الشيخ من

حال حياته، فلم يكن رحمه الله في حياته ليسمح أن يذاع عنه أو يظهر له في وسائل الاعلام شيء على الاطلاق، وكان أبعد الناس رحمه الله عن الظهور في هذه الوسائل، وأبعد الناس عن وسائل التواصل الاجتماعي، وحينما كنت أجد اسمه في وسائل التواصل الاجتماعي حال حياته، فلا أجده إلا ليصحح خطأ، أو يرد على مشكلة، أو يكتب مقالة علمية جيدة، فكان ينثر علمًا نافعًا للناس، وكانت صفحته لا تجد فيها إلا هذا، ولم أكن أجد تسجيلًا واحدًا للشيخ حال حياته، وهو أمر نادر جدًا، لأنه لم يكن يحب ذلك، وكان يتوارى ويستخفي، وقد علمنا علماءنا بقولهم: (نعوذ بالله من الظهور، موجب للفقر وقاسم الظهور) فكان الشيخ محمود توفيق يتفرغ للعلم وينشغل بالعلم، لا تشغله أي وظيفة أو شاغل عن حب العلم والرغبة الصادقة في العلم، وكان كما يقول أسلافنا: (اللهم لا تمنعنا عن العلم بمانع ولا تشغلنا عنه بشاغل) وكان هذا بعض من دعاء قنوط الفجر عند بعضهم، وهكذا كان حال الشيخ محمود توفيق تمامًا.

زرت رحمه الله مره في أوائل التسعينات في بيته بالزيتون، وكنت مع زميله العزيز الدكتور إبراهيم علي داوود، فإذا بنا ونحن جلوس معه، ينظر إلى مكتبته الضخمة ويقول: أنا لا حاجة لي بهذه المكتبة، لأنني قرأتها كلها وأصبحت في ذهني، فانظر إلى عبقرية الرجل، أمام مكتبة فيها آلاف المجلدات يقول عنها: انا لم أعد بحاجة إليها لأنها في رأسي.

وأذكر أنه ما من مسألة بدأت أعمل واجتهد وانظر كلام العلماء فيها، إلا ووجدت عند الشيخ لمحة جديدة في أمرها ليست عند غيره.. فأجد عنده ما عند غيره، وأجد عنده ما ليس عند غيره، وهذه بصره الشيخ محمود توفيق الذي يرفض أن يكرر غيره، ويرفض أن يكون مقلدًا، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: التقليد ذل، وهذا في الفقه فما بالنا في علوم

البلاغة؟! وكان يقول: المقلد ذليل، ويقول كذلك الإمام الزمخشري: "المقلد كالعنزة الجرباء تحت المطر البليل" فرحمة الله عليه قد اختط لنفسه طريقا سار فيه وانفرد به، وأذكر أنني ما جئت إليه زائراً الا أهداني كتاباً، فكانت حياته دائماً في العلم وانشغاله بالعلم، والعالم حينما تراه منشغلاً بالعلم وجعل حياته للعلم، وفرغ نفسه من شواغل الدنيا وطلقها ثلاثاً بلا رجعة، فقد أصبحنا إذا أمام عالم رباني، ومن العلماء الذين يسعى ويؤتى إليهم.

وحدثني شيخنا محمد أبو موسى يوماً قائلاً: حينما تقدم الدكتور محمود توفيق إلى الترقية لدرجة أستاذ مساعد قرأت نصف كتابه الذي قدمه للترقية، ولم أفهم منه شيئاً، وطالما كتب أحدهم ما لم أفهمه، فلا بد من ترقيته والشيخ محمود توفيق، كما ذكرت: إذا جلست إليه وأغمض عينيه حصلت منه إذا على ما لم تحصل من غيره .

مضى رحمه الله ردحا طويلاً من الزمن في كليه اللغة العربية في المنوفية، وكان يسافر من القاهرة إلى المنوفية، فأسس هناك مدرسة وسافر إلى جامعة أم القرى، فأسس هناك مدرسة، وكل مكان كان يذهب إليه تجد له مريدين وتلامذة وأصحاباً، وقديماً كان علماءنا يسمون التلميذ صاحباً لطول فترة الملازمة، وللحميمية التي بين الأستاذ وتلميذه، فنجد مثلاً الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي، فصاحبه أي تلميذه، يعني تلميذ الشافعي، ونجد كذلك محمد بن الحسن الشيباني والقاضي أبو يوسف صاحباً أبي حنيفة أي تلميذه، وفي اللغة العربية نجد أبو الفتح عثمان بن جني صاحب أبو علي الفارسي أي تلميذه، فكان العلم قديماً بطول الملازمة، على عكس ما نجد هذه الأيام، وكانت طول الملازمة هي التي تنتج العلماء، وقد جاء نفر من الأعراب إلى سيدنا مالك بن انس رضي الله عنه وقالوا له يا إمام المدينة، نحن نقيم في المدينة أربعين يوماً ونريد أن

نأخذ عنك الموطأ فقال لهم: "كتاب ألفته في أربعين سنة تأخذونه في أربعين يوماً قلما تفقهون فيه".. فالعلم يحتاج إلى صبر وإلى روية وإلى ممارسة .

وشيخنا فقد سد في الجامعة ثغرة كبيرة، وترك فيها سلمه كبيرة، وفراغا لا يملأ، وكان علماؤنا يقولون: لابد للجيل الجديد أن يملأ فراغ الجيل السابق، حتى لا تكون هناك فراغات في جامعاتنا ومعاهدنا، فلابد للقدام أن يملأ فراغ من سبق، ولا تزال رحمت ربي تتراً عليه ما قرأ قارئ سطرًا من كتبه ولا باحث ولا مؤلف ولا عالم ولا مدرس .

فعلم الشيخ وأدبه باق فينا، وأخلاقه العالية باقية فينا، ورحمه الله تعالى واسعة وتسع الجميع، ونحسبه قد ذهب إلى كريم وذهب في مطلع شهر كريم ومن قصد الكريم فلا يضام .

وأنا دائماً ما أسمى الشيخ محمود رحمه الله تعالى أبو الفتوح، لأنه كثيراً ما فتح أبواباً لطلاب العلم والباحثين في ميدان البحث العلمي في البلاغة العربية، وقلما تجد هذه النوعيات في جامعاتنا، وقلما تجد هذه النوعيات التي تفتح آفاقاً جديدة في التخصص، ونحن نحتاج في كل تخصص إلى من يفتح آفاق المعرفة فيه .

وقد حضرت للشيخ محمود رحمه الله مناقشة رسالة جامعية في جامعة أم القرى فكان الشيخ محمود مشرفاً والدكتور أبو موسى مناقشاً، والدكتور علي الصاوي مناقشاً ثانياً، وحينما تكلم الشيخ أبو موسى التفت إلى الدكتور محمود وقال له: يا محمود أنا أعلم حينما أتكلم أنك ستعترض على أكثر من ثلثي كلامي، ولكن اتركني للباحث.. وهنا نجد أن الشيخ أبو موسى كان يقدر عقلية الدكتور محمود توفيق رحمه الله تقديراً كبيراً جداً، وكان يحترمه احتراماً كبيراً جداً، وكان الشيخ محمود توفيق من طلاب

العلم والباحثين، الذين يهتم بهم الشيخ أبو موسى اهتماما شديدا، رحم الله الدكتور محمود رحمة واسعة فقد ترك رجالا وترك أحراراً وأناساً ينشرون علمه وأدبه وخلقه النبيل وتواضعه الجم، وألسنة الخلق أقلام الحق، وما شهد أحد لأحد بخير، إلا وقد أنطقه الله بذلك فأسأل الله تعالى لشيخنا الرحمة والمغفرة، وأن يجعل قبره روضه من رياض الجنة، وأن يبلغه ويقرئه عنا السلام.

كان فريداً في كل شيء

بقلم: أ.د/ سعيد أحمد جمعة^(١)

إن كل أستاذ يعلمنا تكون وسيلة تعليمه هي الكلام لكن الشيخ محمود توفيق لم يكن هكذا فيكفي أن تنتظر إليه لتتعلم ، فهو أستاذ حين يمشي أستاذ حين ينظر أستاذ حين ينصت إليك أستاذ حين يبتسم أستاذ حين يغضب كان الشيخ في كل أحواله أستاذاً كان كثير الصمت ونظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى ما حوله ، ولقد قلت يوماً لطلابي: إنني أعتقد أن الشيخ محمود توفيق - رحمه الله - واحدٌ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى تفضل على طلاب العلم في هذا الزمان وجاء به في زماننا لننظر إلى أخلاق الصحابة الكرام متجسدة شاخصة .

ومنذ أيام كنت على اتصال بشيخنا الكريم رحمه الله أدعوه لحضور مؤتمر كلية الدراسات بمدينة السادات والتمست منه مع حضوره كتابة مشاركة في هذا المؤتمر فوعدني بواحدة وهي الحضور، وشرط فيها شرطاً قال فيه: إن كنت على قيد الحياة سأحضر ثم قال: أما الثانية وهي المشاركة ببحث فلا أعدك بهذا وكان قضاء الله نافذاً فلحق أستاذنا بالرفيق الأعلى في ليلة غراء وهي ليلة الجمعة وفي بداية شهر أغر وهو شهر رمضان المبارك.

(١) أستاذ البلاغة والنقد وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، فرع جامعة الأزهر الشريف، بمدينة السادات.

لم يكن محمود توفيق مثل كل الأساتذة بل كان فريداً في كل شيء كان في إخلاصه فريداً وفي حبه لطلابه فريداً وفي مساعداته لهم فريداً وفي قناعاته التي لا يتنازل عنها فريد . ودعوني أذكر لكم موقفاً واحداً مع الشيخ الجليل.

حين التحقت بكلية اللغة العربية عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين كانت تملأني الأفكار الحماسية وظننت أنني حين أدخل قاعات الدرس سأسمع من يتحدث عن القدس وعن المسجد الأقصى وعن مجد أمتنا وتاريخها ولكني فوجئت بمن يشرحون النحو والصرف والأدب والبلاغة، فقلت: أين هذا من تحرير القدس؟ واتخذت قراراً بالتحويل من هذه الكلية إلى كلية أخرى وبدأت أسأل عن كيفية التحويل إلى كلية أخرى مثل كلية أصول الدين أو كلية الشريعة لعلني أجد فيها ما يسد حاجتي ويروي ظمئي وكنت أذهب إلى الكلية وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وفي يوم دخلت قاعة المحاضرات وأنا لا أريد أن أستمع إلى أحد وبعد قليل من الوقت دخل علينا هذا الشاب الرائع (محمود توفيق) وكان وقتها مدرسا مساعداً دخل بديلاً عن المحاضر الآخر الذي غاب يومها ووقف على السبورة ووضع حقيبته جانباً وبدأ بالحمد والثناء وأحسست أن أنفاسه مختلفة وكلماته مختلفة ونظراته مختلفة مع أنه يتحدث أيضاً في اللغة العربية ، لكن الكلام مشبع بحرارة الحب للدين والولاء للوطن ، كلام مملوء بالرغبة في عزة الأمة ونصرتها وتحولت حواس جميع الطلاب إلى هذا النموذج الذي لم نر مثله ولم نسمع شبيهاً له وصارت عبارته تخرق قلوبنا وتستقر في نفوسنا فبدأنا جميعاً نلتفت إلى هذا الشاب وننصت له جيداً وراح هو يرسل رسائله ويصب في قلوبنا معاشر الطلاب من معاني الدين أعلاها ومن لآلئ اللغة العربية أزكاها حتى أذهل القلوب وأذكر من بين مقاصده التي أتحننا بها

في أول لقاء أنه تحدث عن وجوب تحويل النية فلا يجوز لمن يتعلم لغة القرآن أن تكون نيته الدنيا لأن الدنيا حقيرة وهذا العلم شريف ولا يجوز أن تطلب حقيرا بشريف كما أنه لا بد أن تستحضر نية الجهاد وأنت تتعلم اللغة العربية فالأعداء ينفذون من خلالها إلى القرآن الكريم والحديث الشريف لقد علمنا الشيخ أن الدفاع عن الدين يبدأ من ميدان اللغة وظل الشيخ - رحمه الله - يتحدث لمدة ساعتين لا يتوقف ونحن مبهورون بما يقول فأحيا فينا شعورا جديدا شعورا مفاده: أن الحفاظ على اللغة العربية حفاظ على الوطن وحفاظ على الأمة وباب من أعظم أبواب الجهاد. وهكذا ربط الرجل قلوبنا به وستظل مرتبطة بترائه الذي تركه للأجيال القادمة.

لقد عشت معه من وقت أن كنت طالبا في السنة الجامعية الأولى ولم يغب عن خاطري ولم انقطع عن الحديث معه منذ ذلك الوقت، فلم أجد إلا النفس الراضية، واللسان الطاهر، والقلب النقي الذي لا يحمل إلا الخير، والهدوء والسكينة، والعلم الغزير، وفوق كل هذا تقوى الله عز وجل، فاللهم ارفع درجاته في عليين واجعله مع خاتم النبيين وبلغه دعاءنا وحبنا وشوقنا إليه حتى نلقاه في جنتك يا أرحم الراحمين.

رحم الله الشيخ الجليل وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وطلابه الصبر والسلوان .

البليغ المؤدب

بقلم: أ.د. صبري فوزي أبو حسين^(١)

قليل هم العلماء العاملون المؤثرون في حياتنا هذه، وزماننا الهائج هذا! مَنْ وجودهم نور، ولسانهم نور، وقلمهم نور، ومُحيّاهم نور، علماء مؤمنون مسلمون: قلباً وقالباً وعقلاً ولساناً، وسلوكاً، يجذبك جذباً، ويأسرك أسراً، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكانوا خير معلنين عن الشرع الحنيف، وموقعين خير توقيع عن أحكام الشريعة في أدق القضايا وأخطرها، فلم يكتموا ما أنزل الله تعالى، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، مهما كان منصبه أو جاهه!

إنهم علماء سادة، مجاهدون، يعلنون عن عقيدتهم ومذهبهم بشكل صريح دقيق محدد، لا مواربة فيه، ولا مداراة! ولا خلافة! لم يشتروا بكتاب الله وعلمهم ثمناً قليلاً، ولم يكتموا ما أنزل الله تعالى، بل جاهرُوا بكلمة الحق والصدق والخير في كل مجال وأمام كل إنسان مهما كان قدره، ومهما علا منصبه! ومنهم أستاذي الدكتور (محمود توفيق سعد)، أستاذ البلاغة والنقد المتفرغ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، وعضو هيئة كبار العلماء، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً.

(١) أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية للدراسات العليا والبحوث وخدمة البيئة، فرع جامعة الأزهر الشريف بمدينة السادات.

والذي شرفت بالتلمذة على يديه والجلوس أمامه في قاعة الدرس، والاطلاع على كتبه مبكراً في كلية اللغة العربية بالمنوفية منذ العقد الأخير من القرن العشرين، رحمه الله!

وقد رحل عنا وفارقنا أستاذنا ووالدنا فجأة، في زمن كنا نعدّه درعنا وملاذنا ولساننا، وسراجنا، وكنت-شخصياً- أنتظر التمتع برؤيته في كل مكان: في كلية الدراسات العليا حيث يحضر بنفسه كل عام ليحاضر طلاب الدراسات العليا، وليصحح الأوراق الامتحانية، كما شرفت بزمالته في لجنة شعبة اللغة العربية للدراسات العليا بكلية العلوم الإسلامية والعربية للوافدين، وكم وجهني، وكم أرشدني، وكم فتح لي مجالات فكرية، وكنت أنتظر تعليقه على بحث لي وعدني بقراءته!

رحل أستاذي الدكتور محمود توفيق سعد يوم الخميس ٢٧ فبراير ٢٠٢٥م، الموافق ٢٨ من شهر شعبان سنة ١٤٤٦هـ، فكتب الله له أن يموت في وقت فاصل، بين شهر رفع الأعمال، وشهر بداية أعمال جديدة. وقد توفاه الله عن عمر بلغ أربعة وسبعين عاماً، نحسبها كلها كفاحاً وجهاداً في سبيل الحق وأهله، وقد أظهر رحيله هذا أن له من اسمه كل نصيب؛ فقد كان (محموداً) عند جميع طلاب العربية والشرعية في أقطار المعمورة، كما كان ذا (توفيق)، في كل كتاباته وخطاباته، ونرجو له أن يكون من الذين (سعدوا) في الآخرة، وأن يسعد ذريته وبيارك فيها؛ كما (أسعدنا) في الدنيا الفاتنة بآثاره العلمية ومواقفه الحازمة، رضي الله عنه وأرضاه!

وكان يكني نفسه بكنية خاصة هي (أبو محمد الإنساوي)، نسبة إلى ابنه الأكبر، (محمد)، وإلى مكان ميلاده (إسنا).

وقد رزقني الله -تعالى- التتلمذ على يديه في الفرقة الرابعة من العام الجامعي الثاني والتسعين والثالث والتسعين من القرن المنصرم، في كلية اللغة العربية بالمنوفية، وأشهد أنه ما تخلف عن محاضرة، ولا قصر في محاضرة، ولا خرج إلى ذاتياته وذكرياته كما كان يحدث عند بعض رفاقه، وما خرج عن متطلبات المحاضرة. كنا نجلس أمامه مجلس المنصت المنبهر الشغوف المتمتع، ما كان أحد فينا ينشغل أو ينصرف عنه، كنا نكتب عنه ما يقوله عن شرح الدلائل (دلائل الإعجاز) لفظة لفظة، وتعبيراً تعبيراً، ونصاً نصاً، وباباً باباً، وكأني به طبق نظرية النظم على أسلوب عبد القاهر ذاته، وإن قلت: إننا كتبنا عنه كشكولاً كاملاً أو يزيد، وكل منا كتب كل ما فهمه أو يظن أنه قد فهمه، وما استطعنا أن نسجل كل خواطره! وكنا ننبر بطريقته في التحليل، إنه لتحليل عميق، قائم على منهج التدوق، ذلك المنهج الشاكري العتيق، تحليل يبدأ من القراءة المعجمية واللغوية ثم التدوق اللغوي، والتدبر التعبيري، ثم البياني، ثم البديعي، ثم الإيقاعي العجيب.

وأستاذنا تربوي في شرحه، ينتقل بنا من درجة أولى في التحليل إلى درجة ثانية، ثم إلى درجة عالية، من سطح، إلى سقف أعلى، ثم إلى مكان علوي خاص! وأنت في كل درجة معجب مندهش، تكاد تتابعه بصعوبة، لأنك أمام بحر علم هادر، ومحيط فكر زاخر، يغمرك غمراً. ثم كان أن رزقت رؤيته ومجالسته في رحاب كلية الدراسات العليا، وكلية العلوم الإسلامية للوافدين، ومؤتمر كلية اللغة العربية بأسسيوط، فكان يفخر بي وزملائي أمام رفاقه، ويعلي من شأننا، كان يتعامل معنا معاملة الوالد، يسأل عن حالنا وآخر كتابتنا، وكان يسأل بقية تلامذته ممن نعرفهم، ويسألني عن ابنه (سعيد جمعة، الأستاذ والداعية والعميد المعروف) وعن

أخباره، ويوصيني بحسن الجندية له، ويطلب مني أن أبلغه عن رغبته في الاطلاع على آخر ما كتبه.

وكان يذكرني بخير في كل مكان علمي، وكم رشحني لأعمال علمية لظنه الطيب في شخصي، فكم من خير علمي أتاني عن طريق تركيته وحسن ذكره شخصي. ومن ثم أوجز كلمتي عنه بأنه كان خيراً، وعاش خيراً، لم يكن أستاذاً فقط، بل أستاذاً ووالداً، فضلاً عن أنه المؤدّب المربيّ الصانع للأجيال، رباني وربى أساتذتي، وربى زملاءه، ولا أكون مبالغاً إن قلت: إنه أثر في شيوخه وأضاف إليهم وأفادهم!.

وكتب الله في سنيّه الأخيرة أن تصل تربيته إلى قطاع كبير، من الأمة، وإن قلت: إنني فقدت برحيله والذي لا أكون مبالغاً، ولعل ما في من رعاية للأجيال التالية وحرص عليهم، راجع إلى نصحه إياي بذلك. وكم قال لي قائلون: إنك من ثمار شيخك محمود توفيق سعد، وعندما نراك نتذكره! وهكذا يكون المعلم البليغ المؤدّب الصانع: لا ينغلق على نفسه، ولا ينغلق على تخصصه، ولا ينغلق على شخصياته كغيره من الأساتذة المتكلسين الجامدين الذين هم كأرض جدباء لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، يحولون بين ملكات التلميذ والانطلاق في فضاء من الحرية والكشف، بل إنه لينفتح على الجميع، وينطلق إلى الجميع، ويرتفع بمن حوله. إنه نموذج لما يسمى (أستاذية الاحتواء والعطاء)، وأضاف إليها بشخصه الفاعل (أستاذية البناء)!

وإن تعجب فعجب أن نرى هذا الرجل السبعيني متطوراً كل تطور، لا يترك مجالاً يوصل كلمته إلا أتقنه ووظفه خير توظيف؛ فقد عرفت منه إجادته فنون الحاسوب الرئيسة لا سيما هذا المسمى (وورد)، وأتقن التعامل معه، فكان يكتب أبحاثه وينسق كتبه بنفسه،

وكان ينشر بعض مؤلفاته على المواقع المختلفة مثل المكتبة الشاملة، وكان يحاور الشباب على موقع أهل الحديث، وموقع أهل التفسير. ومن يبحث عن اسمه أو كنيته يجد ما يدل على ذلك، ولعل صفحاته على ذلك الفضاء الرقمي الأزرق، والمسماة باسمه مجرداً من كل لقب، خير دليل على ذلك، ففيها خلاصة مقالاته وأبحاثه وفيديواته، وليس فيها ما عند غيره من تفاخر بصورة أو تباه بحضور!

إنها صفحة ملأى بمناشير الخير والعلم فقط! كما كان أستاذنا منذ ظهرت مواقع التواصل حاضراً فيها متابعاً شؤون أمتة، منضماً إلى كل جماعة فيها خير وفيها فاعلية، ولا يستكف أن يعلق على مناشير طلابه مدحا حيناً وتوجيها حيناً، وقد رأيت ذلك في منشورات لي، وفي منشورات للدكتور أ.د. عصام فاروق، والدكتور هاني الصاعدي، وغيرهما.

وأختم مقالتي التأبينية الرثائية هذه بدعاء شعري تضرع به أحد طلاب شيخنا المحمود، وهو الشاعر الأزهري الكبير الزميل الأستاذ محمد فتحي نصار، حيث قال على صفحته الفيسية:

يا رب عبدك هذا كان يدعونا .: إلى دروبك فاستقبله ميمونا
واقبله يا ربنا بمن رضيت لهم .: فردوس جنتك الفيحاء موضونا
محمودُ توفيقُ سعدٌ، أنت تسعده .: وأنت تجزيه بالإحسان مضمونا
وأنت تجزيه أوفى ما جزيت به .: من عاش باسمك يا حنان مسكونا

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجعل عمل طلابه في ميزان حسناته، وبارك في نسله وآثاره، ونفحنا ببركاته وفيوضاته.

شيخي كما عرفته

بقلم: أ.د/ صبحي إبراهيم المليجي^(١)

شعرت بأن ظهري قد خلا، ولم يعد يستند إلى شيء، بعد أن كان يأوي إلى ركن شديد، مرتين في حياتي، أولاهما- عندما فقدت والدي رحمه الله تعالى، وأجزل له المثوبة والعطاء، وأنا في السادسة والثلاثين، والأخرى- عندما فقدنا فضيلة الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد، عليه من الله تعالى شأبيب الرحمة وواسع المغفرة.. وأنا في السادسة والخمسين، وقد تعمّدت ذكر عمري في المرتين، لأدلل على جميل فضل الرجلين، وسعة عطائهما، ومدى حاجتي إليهما، فالأول أعطاني من كده وكدحه حبا ورعاية ومالا...، والثاني أعطاني من كده وكدحه رفقا وعلمًا ومنهجًا.

وقد حاولت ذات مرة تقبيل يد شيخي المحمود جريا على عادة طلاب العلم فأبى بشدة، ثم قال: إن الأولى بتقبيل اليد هم الآباء لما يبذلون من مال، أما العلماء فإن كان ولا بد فهم أولى بتقبيل الراس لما يبذلون من علم. كلاهما يبذل، ومصدر البذل عند الأول غيره عند الثاني، فقَبِّل يدَ الأول، وإذا أردت فقَبِّل رأسَ الثاني.. لم أحظ بشرف الاستماع إلى شيخي والتعلّم منه في المرحلة الجامعية، حيث كان رحمه الله معارا إلى السعودية، ومن ثم كنت جاهلا باسمه وعلمه، إلى أن التحقت بالدراسات

(١) أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر الشريف بالمنوفية.

العليا بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة، وجلست مع الجالسين إلى شيخ البلاغيين- أطل الله عمره- فضيلة العلامة د. محمد أبي موسى، وكان من عاداته أن يطلب منا تدوين ما ليس موجودا في الكتب مما لا بد من تدوينه، وإذا به يقول: اكتبوا عني هذه العبارة: (خذوا العلم عن هؤلاء- ويقصد بذلك علم البلاغة وما يتصل به- وذكر عددا من الأساتذة الأمجاد، كان على رأسهم: أ.د/ محمود توفيق سعد، في كلية اللغة العربية بالمنوفية، وهنا انتابتي الدهشة، إذ كنت خريج هذه الكلية، ومع ذلك لم أقابله، ولم أسمع عنه!! ولكنني تابعت حديث أبي موسى، فإذا به يقول: لقد ناقشته فقط، وأعدّه أستاذي، مما حفزني إلى الهرولة إلى كلية اللغة العربية بالمنوفية لأتشرف بلقائه، فانتظرت في إحدى طرقاتها عساه يمرُّ من أمامي، وعند مروره استوقفته فأقبل عليّ، وتحدث إلي غير ممتعض ولا سائل عمّن وجهني إليه، ولا قائل: إنّ وراءه شيئا خرج لأجله- كما هو واضح- بل أخذ يحدثني ويوضح لي كأني أحد الطلاب الذين يعرفهم، وبينه وبينهم صلة قوية، وحوارات سابقة، وكان من عاداته إذا حدث أحدا أن يُغمض عينيه، أو يتسارع طرفهما بطريقة لا تحدث من غيره، وكأنه يعيش معاني الكلمات التي تخرج من فيه، ويتذوق أثرها، أو لما يمتاز به من أدب وحياء، يمنعانه من التحديق، أو لسر آخر.. الله أعلم به، ومن ثمّ فإن كلماته- على قلتها- كانت قوانينَ ونظرياتٍ وحِكَمًا يأخذها عنه المتلقون، وتنزل من كل واحد فيهم منزلتها النافعة بأمر الله، وإذا سألت أحدهم قال: د. محمود قال لي كذا

ثم قدّر الله لي أن أُعين معيدا في كلية اللغة العربية بالمنوفية، فعاشت شيخي عن قرب، واختلطت به اختلاط الابن بأبيه، والطالب بشيخه، فكان رحمه الله ذا تأثير كبير في القسم وفي الكلية، يهرع إليه

الطلاب، والهيئة المعاونة في مختلف الأقسام، ويحرص أساتذة القسم على استشارته في المسائل العلمية، ويقدر رأيه ويحترمه الآخرون داخل الكلية وخارجها، حضرت ذات مرة اجتماعا كان على رأسه العالم الفذ د. فتحي أبو عيسى.. عميد الكلية، والعلامة د. محمد أبو موسى، وفي كلمته أظهر عميد الكلية احترامه الشديد وتقديره الكبير للدكتور محمود توفيق، وقال: إنه خرج من عباءة قسم البلاغة والنقد، عندما كان الدكتور: أبو موسى مشرفا عليه في بداية الكلية ومهددا، ثم أحييت الكلمة إلى الدكتور أبي موسى، فقال معقبا: الدكتور محمود توفيق لم يخرج من عباءة القسم، الدكتور محمود توفيق كان قسما مستقلا، ونسيجا منفردا.

لا أدري لماذا أشعر بأن الرجل ما زال حيًا، كلما استمعت إلى معقد من معاهد كلامه، ودره من درره التي تُعنى بنشرها في الناس منصّة فصيح؟ ولا أفهم لماذا يهتف بي هاتفٌ أنني إذا اتصلت به سأسمع صوته يحادثني كما جرت العادة بيننا؟ وأزعم أن هذا الشعور لا يخالجني وحدي، بل يشاركني فيه - كما هو واضح مما كُتب عن شيخي - طيب الله ثراه - كثيرٌ من طلاب العلم وأهله، وهذا في ظني لا يناقض إيماننا بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يغير الحقيقة التي نعلمها بأن الرجل قد فارقنا إلى جوار ربه، ولكن انتقاله إلى الرفيق الأعلى بغتة كان صدمة كبيرة تركت ظلالها على طلابه ومحبيه، تماما كما فعلت بأبنائه وأهل بيته، وأسأل الله تعالى أن يكون منعما في قبره، مرفوع الدرجة عند ربه.

منهج الشيخ في التعامل مع طلاب العلم: بعد أن اختلطت بشيخي اختلاط الولد بوالده والتلميذ الراغب في التعلم بشيخه، بدت لي بعض ملامح شخصيته في التعامل مع مَنْ حوله من الطلاب والباحثين والزملاء والعلماء.. حيث كان رحمه الله تعالى يرى أن العلاقة بين الطالب

وأستاذة يجب أن تقوم على أساسين لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يُكتفى بأولهما عن الثاني، أحدهما: الرحمة، التي هي ثمرة من ثمار العلم وضرورة من ضروراته، وهي التي تدفع الأستاذ لأن يُعنى بطلابه، ويجتهد في إيصال فكره إليهم، ولا يبخل عليهم بشيء مما أنعم الله تعالى به عليه، يقلل عثراتهم، ويأخذ بأيديهم ليحققوا ما لم يستطع تحقيقه، ويكملوا ما عجز عن القيام به، مهما كلفه ذلك من وقت وجهد.

يحكي الأستاذ الدكتور/ عبد الحافظ البكري أنه كان يذهب إلى كلية الدراسات العليا بالقاهرة، فيرى شيخي الدكتور/ محمود توفيق سعد- عضو هيئة كبار العلماء- يجلس على حصيرٍ ملتصق بالأرض، من أجل طالب التبتت عليه مسألة علمية، أو أشكل عليه أمر من الأمور، وهو يحاول جاهداً أن يبسطها له، ولا يبالى بالوقت الذي يمكث فيه مع الطالب حتى ينصرف فاهما مرضيا.. هذه الرحمة كانت تدفع شيخي لأن يُعَدَّ هؤلاء الطلاب كأنهم أبنائهم، ويسعى في قضاء حوائجهم حتى ولو لم يكن مشرفاً عليهم، وكانت رحمته- رضي الله عنه- لا تقتصر على رعايتهم علمياً، بل كانت تتسع لتشمل رعايتهم مالياً واجتماعياً، وفي هذا السياق أذكر موقفين حصلنا منه معي:

الأول- في عام ٢٠٠٤م عندما كنت أتهياً لمناقشة رسالة الدكتوراه التي كان من حظي الطيب أن يُسند إلى فضيلته الإشراف عليها، وكنت في ذلك الوقت مشنت الذهن حائر التفكير في تكاليف الطباعة ومراسم يوم المناقشة، ولم أشأ أن أفتح في ذلك أحداً من الأهل أو الأقارب، حتى إن زوجي لم تكن على علم به، وكانت التكاليف تربو على الألف جنيه، وهو في ذلك الوقت مبلغ كبير، وقد أنعم الله تعالى علي بتلك الكلفة كاملة من طريقين: أولهما- أبي رحمه الله تعالى وأمي أطال الله عمرها، حيث

أعطاني ٦٠٠ جنيه، هي ثمن محصول القطن لذلك العام، والآخر: من طريق شيخي وأستاذي ووالدي/ محمود توفيق سعد، الذي اعطاني هو الآخر ٦٠٠ جنيه، كما أعطاني والداي تماما بتمام، وقال لي حتى يرفع الحرج عني: هذه من القسم لك!!!

الموقف الآخر - حين أَلَمْتُ بأحد أبنائي ظروف صحية، لم أجد بدا من الفضفضة إليه بها، حيث شغلته هذه الظروف إلى أن لقي ربه، فكان دائم السؤال عنه، دائم الدعاء له، دائم الوصية به، ولا أنسى عبارته كلما هاتفته: ما أخبار ولدك؟ وكيف حاله؟ أرجو أن تفعل له كذا وكذا..

رحمات الله تترى عليك شيخي وأستاذي وأبي، وأجزل لك المثوبة والعطاء لقاء ما ساعدتنا وأعنتنا، وإلى مقال ثان بأمر الله تعالى، خشية الإطالة، وإبقاءً لذكرى شيخي رحمه الله، وتذكيرا بمآثره، وتعلُّماً من محامده.

الزاهد الذي عاش يوم مات

بقلم: أ.د/ عادل السيد الفقي^(١)

بدأت معرفتي بفضيلته وأنا في الفرقة الأولى في كلية اللغة العربية بالمنوفية عام ٢٠٠٣م يوم أن وضع لنا امتحان القرآن الكريم، وقد كان فضيلته حازماً حاسماً في الامتحانات بقدر رفته ورحمته في قاعة الدرس والتعليم، وإن أنس لا أنسى تلك الجملة التي صدر بها أسئلة امتحان القرآن الكريم في ذلك العام لجميع فرق الكلية، حيث قال بالنص "أجب عن الأسئلة الآتية مع الضبط بالشكل، واعلم أن الخطأ في ضبط أي كلمة ستُحسم به درجة وإذا تكرر الخطأ سيتكرر الحسم"، وتخيل وأنت طالب في الفرقة الأولى تقرأ هذا الحزم والحسم في مطلع أول ورقة أسئلة تقع بين يديك في هذه الكلية، وقد كان لهذا أثره في نتيجة امتحان القرآن الكريم لجميع الشعب بجميع الفرق هذا العام، حيث لم تتعد نتيجة الامتحان ٥٠%، وكنت بفضل الله ممن حصل على ممتاز في هذا الامتحان، وقد كان هذا من طبع أستاذنا في الامتحانات (الحزم والحسم والشدة) وكان عندما يمر بلجنة الامتحان كان يوصي المراقبين قائلاً: (شدوا عليهم الوثاق ولا يلتفت منهم أحد، ولا يكلم أحد أحداً، وقد كانت هذه سمة من سماته في أي اختبارات أو امتحانات.

(١) أستاذ البلاغة والنقد ورئيس قسم البلاغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع جامعة الأزهر الشريف بمدينة السادات.

وعلى قدر هذا الحزم والحسم والشدة في مجال الامتحانات كان رحيمًا رفيقًا هينا لينا مع طلاب العلم في مجال التعليم خادما لطلاب العلم الصادقين محبا لهم، خافضا جناحه لكل من يلتمس فيه رائحة العلم، وقد سأله بعض الزملاء يوما عن كتاب ما، فلم يكن الكتاب عند الشيخ ولكنه أخذ رقم هاتف هذا الباحث وبحث بنفسه عن هذا الكتاب وقام بطباعته وتواصل مع الباحث هاتفيا وأخبره أن الكتاب موجود الآن بين يديه وأعطاه له راضيا مرضيا، ناهيك عن تذليل كل العقبات العلمية والإدارية لجميع طلاب العلم، ويحكي عنه الأستاذ سلطان وهبة صاحب مكتبة وهبة التي اختصت بطباعة كتب الشيخ، أنه ذهب إليه قبل أن يُسلم روحه لمولاه بشهر ونصف ليعطيه حقه في أرباح مؤلفاته التي تم بيعها من خلال مكتبة وهبة فرفض الشيخ أن يأخذ جنيها واحدا وقال له بالنص: (أنا لا أكل بعلمي) هذه المبالغ أعد بها طباعة الكتب ووزعها على طلاب العلم، وهو القائل: "من طلب الدنيا بالعلم كان أحق ممن يطلبها بمزمار، ومن طلب الدنيا بمزمار إنما طلب حقيرا بحقير، فكان المطلوب (الدنيا) والمطلوب به (المزمار) سواء، ومن طلب الدنيا بالعلم فقد طلب حقيرا بعظيم، ولا يفعلها إلا مافون " فأني نموذج من العلماء هذا؟!

وقد كان كريما جدا مع طلاب الذين يقصدونه سواء في قسمه أو في بيته لدرجة تجعلك تضعه فوق حاتم الطائي في الجود والكرم، ويصدق عليه قول الشاعر: فما جازه جود ولا حل دونه* ولكن يسير الجود حيث يسير، وكان مربيا قبل أن يكون معلما، يتعلم منه طلاب العلم من لحظه قبل لفظه، ومن صمته قبل نطقه، لصمته دلالات ولللفظه إشارات وهكذا أهل العلم الصادقين الذين يرددون دائما (اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما).

وكان مصدرا للطاقة والتحفيز لطلابه يناديهم بأحب الأسماء ويدعو لهم ويشد على أيديهم، ومن خائضه مع طلابه ومحبيه أنه كان ينادي الواحد منهم واصفا إياه بصفة من جنس اسمه، فمثلا صالح يقول له أيها الصالح....وعصام يناديه بالعصام، ومما يذكر في هذا محادثة على الواتس بيني وبين فضيلته، كنت قد أرسلت بيان حالة لسيادته من كليتنا فرد عليّ قائلا: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته سيدنا العادل رضي الله عنك، أحسن الله تعالى إليك وإلى من حولك من الأهل والأصحاب وكل من رأت عينك من المسلمين، دمت جوادا بالحسنى والله أسأل أن يجزيك عني جزاء حسنا. محمود توفيق محمد سعد) ومثل هذه الرسائل والكلمات تدل على مدى تواضعه وأدبه وكرمه وإحسانه إلى طلابه وهو من هو (عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف)

وقد كنت في غاية السعادة عندما علمت من المسؤولين في منصة فصح الإلكترونية المعنية بنشر التراث العربي التي كان الشيخ يشرح فيها كتاب المطول لسعد الدين التفتازاني أنه رشحني لشرح كتاب (شرح عقود الجمان للسيوطي) لأن الشهادة من مثل أستاذنا لشخصي الضعيف تعلو على كل الشهادات والأوسمة والتقدير، وقد أعانني الله تعالى على أداء المهمة ببركة الشيخ ودفعه وتشجيعه لي كطالب من طلابه، وقد كان هذا شأنه مع جميع طلاب العلم.

وكان من وصاياه أيضا لطلاب العلم أن طالب العلم عليه أن يقرأ أي كتاب وهو ماسك بقلمه يعلق عليه ويصنع عليه الحواشي، ثم يحول هذه التعليقات والحواشي إلى كتاب حول الكتاب المقروء، وإذا قرأ طالب العلم ولم يفعل هذا تبخر ما يقرأه ولم يعد له أثر، وقد طبق أستاذنا هذا في بعض مؤلفاته، من ذلك ما فعله وهو يقرأ كتاب (شرح أحاديث من صحيح مسلم

دراسة في سمت الكلام الأول) لشيخه د. محمد أبو موسى حيث ألف حوله كتابا سماه: (الكلمة نور: محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم لشيخنا محمد أبي موسى)، وصنع مثل هذا أيضا في كتاب: (علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى)

وقد كان ذا منهج فريد في التأليف ويكفيه في هذا ما صنعه في الدراسات البينية التي جمع فيها بين علم البلاغة وأصول الفقه، ويكفي فيه شهادة شيخه أبي موسى الذي قال لي أنا شخصا لما سألته عنه (هو أنجب تلامذتي وهو أفضل مني ويكتب كتابات لا أستطيع كتابتها)

كل هذا العطاء الهادر وهذا الخلق النادر كان مخفيا عن كثير من الناس وعن كثير من طلاب العلم، وما ذلك إلا لأنه كاللؤلؤ المكنون الذي يفضل أن يختبئ في قاع البحار ولا يقع عليه إلا الغواصون الماهرين، في الوقت الذي يظهر فيه على السطح كل ناعم ولا عاق، وما إن نعاه الناعي في يوم الثامن والعشرين من شهر شعبان ١٤٤٦هـ الموافق ٢٠٢٥/٢/٢٧م حتى ذاع صيته وضجت كل وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي بخبر وفاته، ويكفيه نعي الإمام الطيب له حيث قال عقب وفاته: (كان نقي الضمير، عف اللسان، لا يقول إلا خيرا، وقد تميز بهمة الشباب، وحكمة الشيوخ، ولم يطلب أمرا من أمور الدنيا، فقد عاش منكبا على طلب العلم ونشره) فرحمة الله ورضوانه على هذه الروح الزكية التي فضلت العيش بعيدا عن الأضواء، لكن شاءت إرادة الله أن يحيا ذكره عقب وفاته ليعيش بالذكر الحسن والسير العطرة يوم نعاه الناعون، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه وطلابه خير الجزاء وجعل علمه وعمله وإخلاصه في موازين حسناته يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا.

ما لبلاغة تكلّى !!!
إلى أستاذي الدكتور محمود توفيق سعد

شعر: محمد فتحي نصار

على أيّ درّبٍ تَسْتَقِيمُ المراكِبُ
وقد غادرتُ وجهَ السماءِ الكواكبُ ؟!
وأجهشيتُ الأفلاكُ حُزنًا، ودَهْشَةً
وباتتُ على الآفاق تبكي السحائبُ
وأظلمتُ الأيامُ صِرْنَ لياليًا
وأفَعْتُ على حرِّ الرّمالِ المواهبُ
تَحَيَّرَتِ الأناءُ، لم تَدُرْ وجهَهَا
ولم تَدُرْ مَنْ نحوَ السماءِ تُصاحِبُ !!
وما مِن دليلٍ يُرشدُ الركبَ هاديًا
على القَصْدِ، والريحُ العقيمُ تُشاغِبُ
وتَذَرُوا وجوهَ العابرينَ ..تشابهتْ
فلا وَجْهَ إلا شوّهتْهُ التَّجاربُ !
ووجْهُكَ لم يُشَبِّهْ وجوهاً تشقّقتْ
جَفافًا وجافاها القَبولُ المُجانبُ
وأنتَ صديقي، رَغَمَ بُعْدٍ ورفعةٍ
كما الشمسُ لم يُجْعَلْ لها الدهرَ حاجِبُ

كما البدر، من بين الغيوم، يضيء لي
وقلبي على رغمي إلى الضوء هارب

عرفتك أستاذًا، تعلمُ خافقي
مواقع دقاتِ هَواهنَّ ذائبُ
تعلمُ قلبي؛ كيف يكتبُ نبضَه
حديثاً بليغَ الشدو،.. كيف يحاربُ ؟
وكيف يُغني جرحَه خفقَ جُملةِ
يُزَمِّمُ فيها سحرُها، ويُصاخبُ !!
تراقصُ شيطانَ المجازِ، وترتقي
ذرا أبويه، وهو حيرانُ، حاقبُ
إذا أزَعَجَتْهُ لَهْجَتِي لم يزدُ على
رُكوبِ فرارٍ طارَدَتْهُ النوائِبُ
وكيف يُحيلُ الدمعَ ريَّ قصيدةِ
ترقُّ، ولو جارت عليها المخالبُ !!
وتشربُ أنهارَ الخيالِ، مشوقةً
تُجاذبها الأحلامُ، والطينُ لازبُ
على وجهها، من طول ما أجَّ شوقها
ندوبٌ، وفي القلب الرقيق لَواعِبُ !!

تُعَلِّمُنِي ماذا، وتبريني بما ؟
وتوترني قوسًا بها الموتُ واصِبُ !!

إذا أنت أغلقت اتّصالك لم أجِدْ
 على ليل حيراتي شُعاعاً يُداعِبُ
 ولم تدر صفحاتُ الكتاب حروفها
 وتلك ، على بُعدِ الدليلِ ، مصائبُ!
 وإن عُدتُ ، يوماً ، أطلبُ العلمَ مثقلاً
 بجهلي ، وأشكو ، عنده ، ما أُغالبُ
 وأسأله عن حيرتي وضلّالتي
 وروعة أفكارٍ ، عليّ ، توائِبُ
 فكيف سترويني بكأس هدايةٍ
 وأنت بعيدٌ والدروبُ سباسبُ ؟!!
 ودوني أحجارٌ ، وغيبٌ ، ووَحْشَةٌ
 ورَهْبَةٌ موتٍ ، عندها الوجهُ شاحبُ !!
 وصدمةُ نأيٍ تحتها القلبُ حائرٌ
 وخرسةٌ عجزٍ ، دونها القولُ هاربُ
 وإحساسٌ مأخوذٍ ، يُريدُ تفلّثاً
 وآماله ضاقت ، عليها ، المذاهبُ !!

أنا أنت قد مات الذي كان طالبا
 وأصبحَ مَطْلُوباً ، فكيف يُغالبُ ؟!
 فيا هذه الآهَ العميقة: خَفّفي
 مَواجعَ نفسٍ عذبتُها النَّوَادِبُ

وطارتُ بها غِرْبَانُ أَرْضٍ مَخُوفَةٍ
وَوَدَيَانُهَا بَعْدَ الرَّحِيلِ خَرَّابُ
مَضَتْ عَنْ مَغَانِيهَا زَهْرٌ حَيَاتِهَا
إِلَى سَفَرٍ مَا عَادَ مِنْ فِيهِ ذَاهِبُ
تَرْحَلُ أَهْلُ الْحَيِّ، .. لَاحِيَّ.. لَا صَدَى
وَحَبَّتْ بِأَشْوَاقِ الْغَرِيبِ النَّجَائِبُ
وَفَاضَتْ عَلَى الْبَحْرِ الطَّوِيلِ عَيُونُهَا
وَهَلْ رَاحِلٌ نَاجٍ مِنَ الْهَوْلِ، ... آيِبُ
وَأَمْسَى خَلَاءَ كُلِّ قَلْبٍ مُعَلَّقُ
عَلَى ذَكْرِيَّاتٍ بَيَّتَتْهَا النَّوَاهِبُ
فَمَاذَا سَيَشْكُو الصَّبُّ، ... شَكْوَاهُ مِحْنَةٍ
وَصَمْتُ أَغَانِيهِ لِمَعْنَاهُ خَالِبُ
وَسَلَوَاهُ قَبْضُ الْجَمْرِ، عَوْدَةُ خَائِبِ
تُمْزِقُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ النَّوَاهِبُ
وَيَدْعُوهُ تَذَكَارُ الْحَدِيثِ لِحَتْفِهِ
فَيَمْحُو بِدَمْعِ الْعَيْنِ مَا هُوَ كَاتِبُ

أَيَا أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ بَعْدَكَ أَفْلَسْتُ
بِلَاغَةِ قَرْنِ الشَّمْسِ.. مَنْ ذَا أَعَاتَبُ؟!
وَذِي لُغَةٍ الْأَيَّامِ، لَيْسَ لَهَا فَمٌ
يُحَدِّثُ عَنْهَا، وَالنَّوَادِي صَوَاخِبُ

فَمَنْ يقرأ الأسفارَ، أسفرَ حاجبٌ

وغاب وراءَ الشمس منها حَوَاجِبُ!؟

ويحملُ عنها العبءَ أثقلَ ظَهَرِها

وشُدَّتْ على عيني مُناها العَصَائِبُ !!؟

أنا الشاعرُ المشغوف بالليل والهوى

وبالقمرِ الفتانِ، والشعرُ غالبُ

تُراودني الأيامُ عن طُهرٍ أحرفي

أهمُّ بها .. لولاكَ لم يَنْجُ حاطِبُ !!

تلوحُ له وجهاً، وقلباً مُعلِّماً

ومُصْحَفَ قرآنٍ رؤاهُ أطيَبُ !

وأنتَ ضميرُ الكافِ .. بُرهانُ طالبٍ

إذا ما تَهَجَّى العلمَ،.. أنتَ المخاطِبُ !

وحاطبٍ ليلٍ لم تزلْ أنتَ عَيْنُهُ

تخلَّيتَ عنه، واحتوتُهُ الأَجَادِبُ !

فكيفَ تَراهُ، والأفاعي حَصَادُهُ

ورفقتَه، عندَ النداءِ، الثعالِبُ ؟

ومن خَلَفَهُ تَعَوِي الذنابِ، تريذُهُ

وكلُّ نواحيه، عليه تَذاعِبُ !!

وراكب بحرٍ يملأُ الخوفُ كيسَه
وزورقهُ الأمواجُ، وهى ثواقبُ !!

وإن سَكَنَ الموجَ الغريقُ، فأرضُهُ
مَزَالِقُ تَغْتَالُ الخطَا وطَحَالِبُ
وتَدَهْسُهُ الأيامُ نَجْمًا مُحْطَمًا
تَنَاطَرَ عَنْهُ ضَوْؤُهُ، فَهُوَ غَارِبُ
وكيف تُرَاهُ يسكنُ اللُغَةَ التي
غَدَتِ أمُّهَا تَكَلَى، وغَابَ المراقِبُ
وكيف تُرَاهُ حينَ يُسْقَى حُرُوفَهُ
ظَوَامِيٌّ قَدْ شَابَتْ رِوَاها الشَوَائِبُ ؟!
فيا أيها الأستاذُ : كيف تَرَكْتَ مَنْ
سَوَاقِيهِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَوَاسِبُ

جَفَافٌ مَعَانِيهَا يَشُقُّ سَطُورَهَا
ولَهْفَتَهَا الْحَرَّى غَرِيمٌ مُطَالِبُ
وَحِفَّةُ نَهْرِ النِيلِ نَحْوِكَ رَاغِبَا
أَرَاهَا عَلَى الشَّطِينِ خَجَلَى تَتَاءَبُ
أُرَانِي هُنَا، وَالرَّكْبُ عَجَلَانُ نَائِيَهُ
وَأَحْزَانُ تَارِيخِي عَلَيَّ تَكَالِبُ
عَلَى مَقْعَدِ الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ مَعْلَمَا
هُنَالِكَ، وَالْأَمَالُ زُهْرٌ كَوَاعِبُ

يُعَلِّمُنِي المَحْمُودُ، وَالرُّوحُ لَمْ تَمُتْ
أَسْأَلُهَا مَا شِئْتُ، وَهِيَ تَجَاوِبُ !

يَصَاحِبُهَا التَّوْفِيقُ، وَالسَّعْدُ حَلَقًا
عَلَى رَأْسِهَا، لَمْ تَمْتَنِّهَا الرِّغَائِبُ
عَرَفْتُكَ مَحْمُودَ الْخَلَّاقِ زَاكِيًا
فَقَوْلُكَ صَدِيقٌ، وَفَعْلُكَ صَائِبُ

حَدِيثُكَ يَجْرِي فِي الْقُلُوبِ جَدَاوِلًا
وَصَمْتُكَ مَوْصُولُ الْحَقَائِقِ جَاذِبُ
أَبُوكَ هُوَ التَّوْفِيقُ يُعْرِفُكَ ابْنُهُ
إِلَى حَيْثُمَا نَادَيْتَهُ، فَهُوَ آيِبُ
وَجْدُكَ سَعْدٌ، وَالْجُدُودُ عَوَائِرُ
وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَالْوَعْدُ كَوَائِبُ
وَدَارُكَ بُشْرَى الْخَيْرِ، خُلْدٌ، وَجَنَّةُ
بَقَاءٍ، وَأَوْهَامُ الْحَيَاةِ ذَوَاهِبُ
وَعِلْمُكَ شَمْسٌ، لَا يَشِيبُ شُرُوقُهَا
وَلَا تَتَحَدَّى مُقْتَلَتُهَا الْمَغَارِبُ
أَرْتِيكَ، أَمْ آتِيكَ كَالْعَهْدِ سَائِلًا
وَأَدْعُوكَ، إِذْ تُغْوِي خُطَايَ الْمَسَارِبُ
وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ، إِنَّمَا الْمَيِّتُ مِنْ ثَوَى
وَمِلْءُ يَدَيْهِ، فِي الْحِسَابِ، الْمَعَايِبُ

إذا ما أتى نهر المحامد صدّه
عن النهر سدّ عابس الوجه غاضب

رثيتك، .. لا أرثي سوى شوق طالب
يقول، وحزن الحرف في الوزون ناشب
ولولا يقين؛ أن الله حكمة
لما كان يدري كيف تلقى المصاعب !
وسلوى بنيك، اليوم، أنك فائز
بما أنت راج، والكريم محاسب
بلاغتك الحسناء يعرف قدرها
ونيتك الطهرى روتها العواقب
عرفت طريق النور، .. صفة لعاشق
إذا كان ينجو باسمك اليوم صاحب

محمد فتحي نصار

رثاء الدكتور محمود توفيق سعد

شعر: إيثار البنا

"سالتُ دموعَ العينِ وهي جُمودُ"
حين ارتقى للحقِّ ذا "محمودُ"
ماتَ الإمامُ، فكلُّ ركنٍ خاشعُ
وبه تزلزلَ في الديارِ سدودُ
يا منبعَ الإحسانِ أنتَ مصونةٌ
للعلمِ بل للفضلِ أنتَ شهودُ
علّمتَ أجيالًا وكانت نبضةً
في قلبِ علمٍ بالهدى معقودُ
ركنٌ إذا اشتدَّ الزمانُ تقرُّهُ
وإذا دعاك المسـتغيثُ يجودُ
ما كنتَ إلا للهدى نورًا بدا
فيك التقى، والوجهُ منك سعودُ
يا فارسَ التفسيرِ، بل يا آيةً
في الحفظِ والتدقيقِ أنتَ شهودُ
يا عالمَ الأزمانِ كنتَ منارةً
ترنو إلينا قلوبنا وتذودُ
كم طالبٍ حفظتَ له أنفاسُهُ
دربَ النجاةِ، وبالعطا مرفودُ

يا طيبَ سيرةٍ مَنْ أتاكَ بمهجةٍ
يجدُ السكينةَ والحديثَ ودودُ
فقدوك، فانطفأت مصابيحُ الدُّنا
والناسُ حيرى .. عقلهم مفقودُ
يا من على علمٍ عكفتَ تنسُكاً
في كلِّ سطرٍ علمُك المعقودُ
ما خفتَ في اللهِ الملام، ولم تكنُ
ممن يهادنُ إن بدا التهديدُ
مستبصرٌ، لا يبتغي إلا العلا
ما خابَ من بكٍ يستنيرُ، وجودُ
صوّبتَ أخطاءَ العقولِ بحكمةٍ
فكانَ فيك تحققُ المقصودُ
حكمٌ، وحلمٌ، واحتسابٌ خاشعٌ
وسكينةٌ، والمكرّماتُ بنودُ
ما ضاقَ قلبُك بالورى يوماً، ولا
نطقَ اللسانُ بغيبةٍ محقودُ
يا من نشرتَ الحلمَ بين أحبّةٍ
فسكنتَ فيهم، والبيانُ وجودُ
قد عشتَ زهداً في الحياة، كأنما
رغدُ الزمانِ عليك وهو جودُ
منك البشارةُ للقلوب، ومنك ما
بُنيتُ به الأرواحُ وهي سجدُ

يا حاملَ القرآنِ، يا من رتّلتُ
أنفاسُك الآياتِ، وهي خلودُ
ممدودُ كفّك، لا تُرى إلا على
حاجاتِ قومٍ، والحياةُ جهودُ
قد كنتَ ملءَ الحلمِ، بل ميزانهُ
لا يُرتجى في الدهرِ مثلكَ عودُ
تبكيكَ أرضُ العلمِ وهي حزينَةٌ
والدرسُ بعدك خافتُ مركودُ
تبكيكَ أفئدةُ المجالسِ حسرةً
وسؤالُهم عنك الأسى موجودُ
ذهبَ الذي كنا نعدُّ وجودَهُ
صنوّ الكمالِ، وطيبُهُ محمودُ
فإذا ذكرتَ، تسابقتُ أقلامُنَا
قصرَ الرثاءِ فما يقولُ الجود؟!
ما للبيانِ سواك إن همَّ الورى
أن يستبينوا، والمقالُ شهودُ
تبكيكَ مكتبةُ الدروسِ كأنّها
فقدتُ بإطفاءِ السراجِ وقودُ
غابَ الفقيهُ، وغابَ فيه وقارُنَا
وبقيتَ في الأرواحِ، وهي شهودُ
نامَ الجليلُ وقد تركتَ رسالةً
بالعلمِ تزهو الدروبُ.. تُعودُ

لا يعرفُ الكبيرُ الذي في نفسه
 بل في التواضع سرُّه الموجود
 يرقى، وينزلُ من علاه مقامه
 متواضعًا خلقُ الكريمِ وجودُ
 وإذا اجتمعنا حولهُ في مجلسٍ
 خرُّوا له، والبرُّ فيه شهودُ
 يمضي لأيتامٍ، وفيهم قلبه
 ويداهُ دارٌ، والندى ممدودُ
 فالشيخُ محمودٌ بنى في عمره
 صرحَ الفضائلِ، وهو فيه عمودُ
 أبكيك لا يبقى لدمعي صفحة
 فالحزنُ في جفنِ المحبِّ وقودُ
 أبكيك والأيامُ تنظرُ حسرتي
 والدهرُ من فرطِ الردى مشهودُ
 أبكيك والعينُ التي قد أنعشتُ
 تبكيك دمعًا، والحنينُ ورودُ
 أبكيك صوتًا كان يُحيي سيرنا
 فيه المهابةُ والبيانُ عهدُ
 أبكيك علمًا كان يحرسُ أمةً
 فلقد زوى الغرسُ العظيمُ حدودُ
 أبكيك بحرًا لا يُقاسُ بمثله
 سارت بك الأفهامُ وهي جنودُ

أبكىك صبراً، كيف تغفلُ لوعتي
والوجدُ من حزني عليك قصودُ
أبكىك حباً لا يُحدُّ بقامةٍ
أبكىك، والفجر، الليالي السودُ
كان البليغُ إذا تلعثمَ ناطقُ
نادى به: هذا لذيَّ شهودُ
قد كان ميزانَ البيانِ ومرشداً
وبه ارتقى فينا البيانُ وفودُ
واليومَ من بعدِ الفقيهِ تحطمتُ
تلك السروجُ وضاعَ فيها الجودُ
قهرٌ على قسمِ البلاغةِ، سُلبتُ
أقلامه، وانهدَّ فيه عمودُ
قد كان جمعاً للعلومِ مباركاً
وبه ازدهى فينا النهى مجهودُ
ما ضره إنْ غاب جسماً بيننا
فالعقلُ حيٌّ، ذكره معقودُ
نم يا أبا الإصلاحِ نومَ مكرمٍ
فالذكرُ حاضرٌ بيننا موجودُ
الله فارحُ شيخنا وتقبَّل الـ
عبدَ الرشيدِ، ففضله مشهودُ
واسق الغريبَ من الرحيقِ منعماً
فالخيرُ منه، وسعيه محمودُ

واجعلْ لهُ في الخالدينَ منازلًا
فهو الأديبُ، وسيرُهُ مرصودُ
وأطلْ عليه من السلامِ برحمةٍ
تشفي الفؤادَ، وتستريحُ قيودُ
يا ربُّ فاجعلْ قبرهُ روضَ الهدى
واغفرْ لهُ، فالعفوُ لا مردودُ"

إِشَارَةُ الْبَنَاءِ

توصيات المؤتمر

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتمهم أجمعين، أما بعد:

فبعد أن اجتمع أكثر من أربعين باحثاً وباحثة في المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات بجامعة الأزهر، والمعنون بـ(البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية بين مشكلات الواقع وآفاق التطوير)، والذي انعقد في يومي ٢٨، ٢٩ / ٤ / ٢٠٢٥م، خلص المجتمعون إلى إقرار التوصيات الآتية:

- **تعليم الطلاب والباحثين كيفية إنتاج العلم بدلا من استهلاكه فقط.**
- **يجب أن تتضمن البرامج العلمية للجامعات ما يضمن إتقان الخريجين لمتابعة البحث العلمي في تخصصه، وتدريس مناهجه، وتوظيف معلوماته مهنيًا.**
- **تقسيم أصحاب الشهادات والدرجات العلمية إلى: (معلمين) و(باحثين).**
- **الحرية في البحث العلمي لا تعني السطو على الثوابت الدينية والافتراء على الأدلة القطعية، فما هو قطعي الثبوت والدلالة، لا**

يصح فيه الاستفتاء، ولا يقبل الرأي والرأي الآخر. والأزهر الشريف هو المؤسسة الرسمية المسئولة عن الحفاظ على الهوية والعلوم الإسلامية والعربية، وبناء الاجتهاد الفقهي المعاصر، وفقاً للدستور المصري، ومن ثم يرفض المؤتمر كل شذوذ علمي أو إعلامي يسطو على الثوابت.

■ ضرورة دعم الباحثين لإنتاج البحوث العلمية التي تخدم المجتمع، وفتح الباب أمام الباحثين من خارج الجامعة ممن لديهم قدرة ويتسلحون بملكات تمكنهم من إنتاج بحث علمي يخدم قضايا المجتمع ومشكلاته.

■ ضرورة التواصل بين الهيئات الأكاديمية العلمية، ومؤسسات الدولة الرسمية المختلفة، للتعرف على القضايا التي تحتاج علاجاً أو تحسيناً، لعمل دراسات علمية حولها.

■ يرى المؤتمر أن للاجتهاد المتصل بعلوم الإسلام أصولاً ينبغي أن تُراعَى، من أهمها أن الاجتهاد البحثي ينبغي أن يكون داخل المؤسسات العلمية للأزهر، بعيداً عن الإعلام؛ حتى ينضج ويستوي علمياً، فيخرج في شكل مفيد للبلاد والعباد.

■ يوصى بوجوب التعاون بين الجامعات العربية والإسلامية؛ لتكوين رؤية موحدة للأولويات البحثية في المجالين: التقني والإنساني، والتخطيط لمشروعات علمية بشكل دوري، بما يخدم

المجتمع العربي، ويُوحدّ الجهود في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

- زيادة المخصص المالي لدعم المؤتمرات العلمية والنشر العلمي في تخصصات الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية.
- ينبغي تطوير الخطة العلمية البحثية للجامعات، ومخاطبة الأقسام العلمية في الكليات لتقديم خطة عامة لمعالجة قضايا البحث العلمي ومشكلاته في تخصصات الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية، بما يتوافق مع خطط التنمية المستدامة ويُعزّزها.
- يوصى بصياغة دستور لعملية البحث العلمي، مستمد من الضوابط الشرعية والسوابق البحثية والتجارب العقلية، ويكون بمثابة سياسة تعليمية مُراعَى فيها ثقافة المكان والزمان وأنواع البحوث المختلفة وأغراضها، ويُتَحَاكَم إليه في وضع المعايير اللازمة والمناهج المناسبة لكل علم ولطبيعة كل بحث... وغير ذلك من عناصر العملية البحثية.
- وضع معجم للمصطلحات المعرفية المتعلقة بالبحث العلمي.
- الاهتمام بالتخطيط العلمي في مجال البحوث، ووضع هندسة تصميم المناهج، والخطوات المتدرجة للبحوث الجادة، وتوجيه الباحثين وتعليمهم كيفية القيام بمهامهم على خير وجه .

- ينبغي إيجاد وسائل تواصل بين الأساتذة الكبار والأجيال القادمة، في كل تخصص علمي.
- تفعيل مبدأ الثواب والعقاب والتقييم العادل في مجال البحث العلمي، ومتابعة التقارير، وإعطاء كل ذي حق حقه دون ميل أو حيف؛ حذراً من المجاملات في غير محلها، والعقوبة لغير مُقَصِّر لأغراض شخصية، أو تساوقاً مع عُرْف خاطئ.
- ضرورة تدريس مناهج البحث العلمي تدريساً نظرياً وعملياً، في جميع الفرق الجامعية وما بعدها من مراحل علمية .
- ضرورة تحديث المناهج الجامعية وتطويرها بصورة تكفل للطلاب دراسة علومه التخصصية، وغير التخصصية؛ لتتسع دائرة معارفه، وتتكون لديه ذهنية علمية واسعة تشمل العلوم البينية والمستقلة، ولمواكبة مستجدات العصر، ومواجهة تحدياته التكنولوجية الخطيرة.
- يؤكد المؤتمر على أهمية وضع رؤية بحثية واضحة المعالم لجميع المشتغلين بالبحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية.
- يُوصي المؤتمر بأن يتجه البحث الجامعي- سواء على المستوى العلمي أو التطبيقي- إلى معالجة المشكلات الاجتماعية والإنسانية الملحة.

- فرز الرسائل العلمية الجامعية التي نوقشت، والكتب التي حققت، ومراجعتها وإصدارها إلكترونياً وورقية - كاملة أو مختصرة - بدلا من حبسها على أرفف المكتبات بالكلليات.
- إنشاء مراكز بحثية وتخصصات علمية مستحدثة في الدراسات البينية.
- عقد دورات تدريبية وورش عمل للتوعية بأخلاقيات البحث العلمي في ضوء تحديات تطبيقات الذكاء الاصطناعي.
- إصدار وثيقة أزهرية تفصيلية تحدد أخلاقيات الباحث في التعامل مع مسائل العلم، لا سيما المختلف فيها، وكذلك في التعامل مع الأفكار العلمية وأصحابها بصورة تكفل - تطبيقيا لا تنظيريا فقط - عدم التعصب أو التجريح، بل قبول الحق وعرضه بطريقة تليق بالعلم والحق؛ ليكون ذلك أدعى للقبول، مع صدور معاقبة قانونية لكل من يخالف هذه الأخلاقيات والقرارات.
- التوصية بعقد ندوات دورية لمنسوبي الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية؛ لمناقشة قضايا البحث العلمي ومواكبة التطورات والمتغيرات.
- ضرورة تجديد مصادر البحث العلمي بإضافة مصادر غير تقليدية، مع ضرورة تنقية الأخبار والمرويات التاريخية، الواردة

في كتب التراجم والطبقات بوصفها مصادر مهمة جداً لتطوير البحث العلمي التراثي.

■ ضرورة توثيق النصوص العلمية والاطمئنان إلى صحتها، قبل استنباط الأحكام منها، ولا سيما في العصور التي شاع فيها الوضع والنحل.

■ من المآخذ والسلبيات في الأبحاث العلمية المعاصرة: نشر بحوث ومقالات مكررة المنهج والنتائج، ونشر العديد من البحوث والمقالات المتعجلة والمتسرفة في إحصاءاتها واستنباطاتها، ووجود العديد من البحوث والمقالات التي اتسمت بالنقد الاتطباعي، وكثرة الأبحاث المسروقة بطرق مختلفة في حجمها وطريقة سطوها!

■ تعود ظاهرة الغموض أو الإبهام في الخطاب الحداثي المعاصر لعوامل عديدة، أبرزها طغيان التفلسف اللغوي، وهيمنة التقعر الاصطلاحي، والتأثر بالكتابات النقدية الأجنبية، دون نقد علمي لشبهاتها، والتأثر السلبي بالترجمات المضطربة، وغياب العقل الشارح، والمفسر.

■ ينبغي استحداث ضوابط عملية في التوثيق العلمي من المصادر الرقمية، وذلك بسبب ما لوحظ من محدودية المنهج الوصفي التقليدي في استيعاب التطورات التقنية، لا سيما في مجال الفقه

المقارن للقضايا الاقتصادية الإلكترونية المعاصرة؛ فالبحث العلمي في حقل الفقه المقارن اليوم على مفترق طرق: إما أن يظل حبيس النظريات التقليدية، وإما أن يتبنى جرأة منهجية تليق بتعقيدات العصر الرقمي.

■ من الخطايا المعرفية والعلمية الموجودة في باحثي هذا الزمان: تزوير المعرفة وتحريفها، ولبس الحق بالباطل، والإعراض عن الحق بعد تبينه، وإنكار الحق بعد العلم به، والإعراض عن استعمال أدوات التحصيل الحقيقية... وغير ذلك!

■ ضرورة دعم المخرجات الطلابية للجامعات بشكل فعال ومستمر وقوي، وذلك من خلال تبني الكفاءات العلمية المتميزة من الطلبة والباحثين، وعقد دورات تنمية لهم، وتوظيفهم في مهمات تناسب كفاءاتهم في الداخل والخارج، وتوفير فرص عمل مناسبة تضمن استمرار عملهم البحثي والإفادة منه.

■ استثمار الطاقات البشرية العلمية في جامعة الأزهر في عقد دورات تدريبية بعد انتهاء الدراسة الأساسية للطلاب الوافدين الناطقين بغير اللغة العربية؛ وأن تكون هذه الدورات خاصة في مجال التواصل الشفهي والكتابي باللغة العربية، مع تحصينهم من الأفكار المغلوطة والشبهات المثارة.

▪ ينبغي تمهيد المناهج العلمية المقدمة إلى الطلاب الوافدين من العرب وغيرهم، وتذليلها، ومراعاة الفروق النفسية والعقلية والاجتماعية لدى كل طائفة منهم: تأليفا وتدريسا، بما يكفل تحقيق أهداف كل مقرر علمي.

هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. وله وحده الحمد في الأولى والآخرة.

فهرس الجزء الثالث

م	الموضوع	الصفحة
القسم الأول: الوثائق		
١-	<u>الوثيقة الأولى</u> وثيقة الأزهر في التجديد في الفكر والعلوم	١٦٣٣
٢-	<u>الوثيقة الثانية</u> كَيْفَ نَسْتَخْرِجُ مَوْضُوعَاتٍ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ؟ أ.د/ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَبُو مُوسَى	١٦٤٢
٣-	<u>الوثيقة الثالثة</u> في أصول البحث العلمي للعلامة الأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل اختياراً د. عوض إسماعيل	١٦٥٣
	<u>الوثيقة الرابعة</u> ملاحظات في تحقيق التراث العربي للعلامة الأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل اختياراً د. عوض إسماعيل	١٦٦٥
٤-	<u>الوثيقة الخامسة</u> أَيُّنَ الْخَلَلُ؟ بقلم محمود توفيق محمد سعد	١٦٧٢

١٦٧٩	<u>الوثيقة السادسة</u> فريضة علاقة الباحث البلاغي بأسفار البلاغيين والمفسرين أ.د. محمود توفيق محمد سعد	-٥
١٦٨١	<u>الوثيقة السابعة</u> أركان فريضة البحث العلمي البلاغي في بيان الوحي في البحوث الجامعية لنيل درجة علمية أ.د. محمود توفيق محمد سعد	-٦
١٦٨٦	<u>الوثيقة الثامنة</u> في شأن تطوير برنامج الدراسات العليا في جامعة الأزهر بقلم أ.د. محمود توفيق محمد سعد	-٧
١٧٠١	<u>الوثيقة التاسعة</u> أوضاع الدراسات العليا في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري	-٨
١٧٠٩	<u>الوثيقة العاشرة</u> العلوم الإنسانية في عصر العولمة أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري	-٩
١٧١٣	<u>الوثيقة الحادية عشرة</u> مقترح: نظام الساعات المعتمدة في الدراسات العليا في الكليات الأصلية في جامعة الأزهر أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري	-١٠

القسم الثاني: الشهادات وجلسة تأبين العلامة محمود توفيق سعد

١٧١٧	<u>محمود توفيق في سطور</u> بقلم: أ.د/ محمد كاظم الظواهري	-١١
١٧٢٩	<u>ترك فراغا لا يملأ</u> بقلم: أ.د/ سلامة جمعة داود	-١٢
١٧٣٥	<u>كان فريداً في كل شيء</u> بقلم: أ.د/ سعيد أحمد جمعة	-١٣
١٧٣٨	<u>البليغ المؤدب</u> بقلم: أ.د/ صبري أبو حسين	-١٤
١٧٤٣	<u>شيخي كما عرفته</u> بقلم: أ.د/ صبحي إبراهيم المليجي	-١٥
١٧٤٨	<u>الزاهد الذي عاش يوم مات</u> بقلم: أ.د/ عادل السيد الفقي	-١٦
١٧٥٢	<u>ما للبلاغة تُكَلِّى ١١٩٠٠</u> إلى أستاذي الدكتور محمود توفيق سعد شعر: محمد فتحي نصار	-١٧
١٧٦٠	<u>رثاء الدكتور محمود توفيق رحمه الله تعالى</u> شعر: إيثار البنا	-١٨
١٧٦٦	توصيات المؤتمر	-١٩